


# نحو أفق جديد

# نصوص حول الاسلام الديمقراطي

الأستاذ راشد الغنوشي

الأستاذ راشد الغنوشي

# نحو أفق جديد

## نصوص حول الاسلام الديمقراطي




تونس في 2018

المؤلف:

الأستاذ راشد الغنوشي

عنوان الكتاب:

# نحو أفق جديد

# نصوص حول الاسلام الديمقراطي

مطبعة دار الفنون

الطبعة الأولى2018



الترقيم الدولي:

978-9938-40-215-5


شباب
النادي الشبابي

المحتويات

## كلمة توثيقية

ان التطور الذي تشهده الحركة الاسلامية بتونس من وضع ما يسمى "بالإسلام السياسي" الى ما عبرت عنه ب"الإسلام الديمقراطي" لم يأت فجأة وإنما تطلب جهدا فكريا و سياسيا و تربويا داخل الحركة. و لا يزال هذا الجهد متواصلا فيما يبذله رئيس الحركة الشيخ راشد الغنوشي من جهد مضن في بلورة هذا المفهوم الأخير و الجديد الذي يشق طريقا مبتكرا داخل التيار الاسلامي و الأمة العربية الإسلام لم يعهد من قبل لأن الأمر يمس منهج التفاعل مع الدين أو بالأحرى التأويل الديني.

الحركة الاسلامية و المسلمون بصفة عامة لم نكن نعي وعيا كاملا بأننا في مفاهيمنا الأساسية و تصوراتنا الفكرية العقدية منها والشرعية و الأخلاقية لم نتفاعل إلا مع تأويل معينة للدين يرى كل تأويل منها وحده أنه يملك الحقيقة و يمثل الدين الصحيح و بالتالي

الفرقة الناجية و الطائفة الظاهرة على الحق. غير أن الجامع بين هذه التأويل جميعا هو اطار الاستبداد فكانت عرضة للاستبدال[1]

هذا التطور هناك من ثمنه من الوطنيين المثقفين من خارج الحركة بل منهم من تمنى على الحركة أن تمثل الاسلام الديمقراطي كما يوجد في الغرب الحزب المسيحي الديمقراطي. في حين يشكك البعض الاخر في جدية النقلة و يرى فيها مجرد مراوغات ظرفية للتموقع متمنيا ان لا تتطور الحركة حتى يسهل عزلها مستغلا كل شبهة عن زلة عفوية أو خطأ غير مقصود.

كما ان هناك من المثقفين من ينظر الى الحركة نظرة واقعية نقدية فهو يطالب قيادة الحركة نصوص تأسيسية تشهد لتحولها حتى لا يكون هذا التطور مجرد شعار أو قفز على الواقع و هو مطلب مشروع و الحركة معنية بذلك قبل غيرها و هي أولى أن تقدم لمرحلتها الجديدة مضامينها المناسبة.

---

[1] يرى الشيخ أن تاريخنا العربي الإسلامي بصفة عامة و في مساره العام مر بثلاث مراحل مرحلة التنزيل و مرحلة التأويل و مرحلة التبديل

غير أن الكثير من داخل الحركة و من خارجها ربما لم يلاحظ بأن الشيخ لم يكن يوما من دعاة الاسلام السياسي و لا من المؤسسين له خاصة اذا أدركنا ان اهم مقولة في الاسلام السياسي هي المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية و العمل على ايجاد الدولة الاسلامية و لو بدون اختيار شعبي و بكل الطرق فترى كل فصيل من فصائل الصحوة الإسلامية يدعي انه يمثل الإسلام الصحيح و غيره دون ذلك الى حد التراشق و التنافر شأن الفرق الإسلامية قديما.

أما الشيخ فقد كان همه هما فكريا حضاريا منذ حسمه سنة 1969م بين منهج سيد قطب و بين منهج مالك بن نبي رحمهما الله و انما كان يتدرج و يترفق بمن معه الى غاية المؤتمر العاشر سنة 2016م و يكفي ان ترصد بعض المحطات في مدونته حتى يتبين لك الأمر جليا شاخصا.

ففي السجن كانت له سلسلة خطب تستهدف توسيع نظر اخوانه و رفاقه تدور حول وضعية غير المسلم في المجتمع الإسلامي صدرت في كتاب سنة 1989م بتونس تحت عنوان "حقوق المواطنة" و في

سنة 1983م ترجمة كتاب "الديمقراطية" لمالك بن نبي في السجن صدر في تونس بأسمين مستعارين للمترجمين رشاد النوري (الشخ راشد) و نجيب الصابر(الأستاذ الحبيب ريحان) و في سنة 1987م دراسة لا تزال مخطوطة تحت عنوان "النضال السلمي من أجل مجتمع العدل و الإحسان و في سنة 1986م أتم "كتاب الحريات العامة في الدولة الإسلامية" لتأصيل مفهوم الحرية و الديمقراطية في الحركة الإسلامية.

فلم يكن الشيخ يركز على إيجاد الدولة الإسلامية بل على مضمونها العدل و الحرية و الطريق الى ذلك الخيار الشعبي و لم يكن يركز على تطبيق الشريعة بل كان شغله الشاغل مقاصدها و قيمها الإنسانية لا نصوصها وقوالبها.

و قد كتب مبكرا سنة(1974م/1975م) كتاب "طريقنا الى الحضارة" لا طريقنا الى الدولة الإسلامية و كتاب "ما هو الغرب" بالاشتراك مع الأستاذ مصطفى النيفرسنة 1974م وسلسلة بمجلة المعرفة في سنة 1978م "نحن و الغرب" و في سنة 1979م/1980م

"الحركة الإسلامية و التحديث" (كتاب مشترك مع الشيخ الترابي) و في سنة 1979م أيضا كتب "دعوة الى الرشد" و هو بحث حضاري بامتياز و القائمة تطول. أن الهم كان حضاريا لا دينيا فنحن لم نخرج من الدين و لكن خرجنا من الحضارة بسبب تأويل يسودها الاستبداد في العقيدة و الشريعة و الحكم و التربية الروحية و الآن يبدو أن التأويل الديمقراطي و جوهره الحرية هو سبيلنا الى الحضارة.

فالإسلام الديمقراطي بذوره و جذوره مبثوثة و متجذرة في مدونة الشيخ مبكرا و لاحقا و حاضرا و هي تتحسس طريقا مبتكرا جديدا للنهوض بالأمة.

اذن فهم الشيخ هو الخروج من التخلف و استئناف الدور الحضاري للأمة ان نكون في مستوى عصرنا مع المحافظة على هويتنا: ان يكون تطورا طبيعيا أصيلا و عصريا لا قصريا تغريبيا و الطريق الى ذلك الحرية و العدالة الاجتماعية أي استئناف فكر رواد النهضة مع تحيينه بعدما ظلت الحركة الإسلامية تبدو كأنها في

لعارض مع المرحلة النهضوية حتى غدت توصف بالإحيائية تغلب
عليها المسحة التراثية فبذلت مدونة الشيخ جهدا مضنيا و لا تزال
في رد الحركة الإسلامية الى الفكر النهضوي و من ورائه المنزع
الخلدوني و الرشدي و المقاصدي.

يبدو كأن هذا الرأي اسقاط لحاضر فكر الشيخ على الماضي غير
أن نظرة فاحصة لمجمل مدونته يتضح هذا الرأي .. و ما النصوص
التي أشرنا اليها منذ حين إلا جزءا ضئيلا من الشواهد على هذا
الرأي.

لا لشيء إلا لأن علاقة الشيخ بالحركة الإسلامية لم تكن علاقة
نماه و لا الحاق بل كانت علاقة ترشيد و انضاج و اصلاح من
الداخل حسبما يتيحه الظرف. و اقتضى ذلك منه صبرا على
اخوانه و رفاق دربه رغم التشويش الداخلي و الخارجي الى أن تبين
الخيط الأبيض من الخيط الأسود بانبلاج صبح الحرية و تبين بأن
الاستبداد أوهن من بيت العنكبوت اذا توفرت الإرادة الشعبية و

التي هي من إرادة الله. فكان المؤتمر العاشر إيذانا بميلاد الإسلام الديمقراطي.

ان الدارس لنصوص الشيخ و كتبه يتبين بدون عناء أن علاقته بالحركة الإسلامية كانت علاقة ترشيد لا علاقة ترسيخ لمقولاتها خاصة في مواضيع مفاتيح تمس شخصية الانسان المعاصر. فمقولة الديمقراطية كانت مستهجنة في المزاج العام للحركة الإسلامية كذلك قيمة الحرية و النظرة الى الشريعة و الى الاخر و المواطنة وموضوع الردة و المرأة. و بعبارة أوضح كان الشيخ الأستاذ يعمل جاهدا على التحول بالحركة من أفق ضيق مسدود في الأغلب ناتج عن ردود أفعال الى أفق جديد رحب و منفتح.

و يمكن أن نعد نجاة الثورة في تونس كان من ورائه قناعات الشيخ الراسخة في الحرية و التوافق و التصالح و الترفق في التحولات لذلك كان تجاوبه تلقائيا مع الرباعي الراعي للحوار و مع التفاهم مع أشرس معارض له في حكم الترويكا. رغم امتعاض البعض من اخوانه و اعتراض مؤسسات حزبه. واتخذ قراره

بالخروج من السلطة حتى لا يسقط السقف على الجميع أي على كل الوطن.

و يمكن أن نذكر ببعض النصوص الترشيدية على سبيل المثال لا الحصر:

- "الحرية أولا "
- "الإسلاميون و الديمقراطية في الوطن العربي "
- "التحديات التي تواجه الحركة الإسلامية "
- "مشكلات الخطاب الإسلامي المعاصر"
- "مستقبل الحركات الإسلامية"
- هل حقق التجديد الإسلامي أغراضه؟"
- "الفكر الإسلامي بين المثالية و الواقع"

و يمكن أن تشكل نصوص الترشيد مادة دراسية لمسيرة الشيخ الفكرية و النضالية في علاقته المزاوجة الجدلية مع الحركة الإسلامية.

فالحركة الإسلامية لم تعهد مقولات من قبيل "الحرية أو الدمار" . "الحرية أولا" ."لا تاريخ بلا حرية" بل في أحسن الحالات تقول ب"المستبد العادل" و هل يمكن أن يجتمع الاستبداد مع العدل ! كذلك "دار الإسلام هي التي تحترم كرامتك"

ان كثيرا من آراء الشيخ ما يمثل نقلة نوعية لا مجرد تحول فقط بالحركة الإسلامية من أفق لا تزال جرثومة الاستبداد مؤثرة فيه بأقدار مختلفة الى أفق أوله و آخره قيمة الحرية و العقل مناط التكليف و جوهر المسؤولية و أصل التكريم.

و هذه النصوص التي نقدمها الآن تحت عنوان "نصوص حول الاسلام الديمقراطي" و التي دونت بعد الثورة تعد ثمرة لمسيرة الترشيد و الانضاج و الإصلاح في الفكر الإسلامي عامة و هي تتويج

للمسيرة الفكرية و النضالية و صيرورة لفكر متفاعل باستمرار مع الواقع المتحرك يجادله حتى يكون التأثير متبادلا مولدا للحكمة.

و هي نصوص جاء أغلبها بمناسبة تتويج لمسيرة الشيخ الفكرية و العملية من طرف مؤسسات عالمية محكمة و معتبرة ترصد مسيرة المفكرين و المناضلين .. ترشح لجانها من هو جدير بجوائزها و تكريمها و تتويجها .

غير أنه مما يلفت النظر أننا لم نرى قبل الشيخ من توج من طرف مؤسسات متنوعة الاختصاص و الأهداف و الخلفيات.

فمؤسسة ابن رشد في تتويجها للفكر الحر وجدت في سنة 2014 معاييرها تتمثل في ترشيح فكر الشيخ و قدمت ما يبرر اختيارها لشخصه فكانت الكلمة التي ألقاها نصا تأسيسيا للإسلام الديمقراطي ربط فيه الثورة العربية برواد النهضة و بالفكر الخلدوني و الرشدي و المقاصدي هذه الأرضية الفكرية التي انتجت المدارس الثلاثة: الدستورية و اليسارية و الإسلامية بوطننا و سائر الأوطان العربية و الإسلامية اثر احتكاك رواد النهضة بالجديد

الغربي و الذي هو بدوره وليد تثاقف مع الحضارة العربية الإسلامية و لم يأت مسقط على الانسانية شأن كل الحضارات غير أن هذه المدارس تنافرت و تصادمت من جراء استبداد حكومات دولها و قد نال الجميع مآسيه غير أن الثورة أتاحت الفرصة الى هذه المدارس لتتكامل و تتعاون في جو من الحرية لبناء أوطان للجميع فتكون الحرية و المواطنة و العدالة غاية الجميع و مجال التنافس الإيجابي "فالحقوق تتوزع على أساس الانتماء الى الأرض و ليس على أساس الانتماء الى العقيدة".

فاعتبار المواطنة هي الأساس هو تحول نوعي من النظرة الشمولية للإسلام الى النظرة الواقعية المرتبطة بالزمان و المكان أي العصر و الوطن لذلك نعتبر هذا النص من نصوص التأسيس للإسلام الديمقراطي.

كذلك نص كلمة التتويج لمؤسسة جمنلال للقيم الغاندية وجدت قيمها السلمية اللاعنفية في التغيير قد مثلها منهج الشيخ في التغيير السلمي أحسن تمثيل فالثورة التونسية كانت سلمية

بامتياز و أفرزت أول انتخاباتها فوز الحزب الذي يرأسه الشيخ و قد دفعت الحركة ضريبة ثقيلة ساهمت في حصول ثورة بالوطن و لكن فضل رئيس الحركة أن يكون الحكم تشاركيا لا انفراديا و جامعا لا اقصائيا حتى للذين مارسوا عليه الاقصاء. و حينما اقتضى الأمر الخروج من السلطة محافظة على الديمقراطية كان ذلك و لما نودي الى الوفاق لب النداء كل ذلك لأن هذه المبادئ الوفاقية و السلمية كما أشرنا كانت هي مدار فكر الشيخ و قناعته توسل بالصبر حتى تكون رأيا عاما مشتركا مع اخوانه و رفاقه من سنة 1980م الى المؤتمر العاشر 2016م فلم ترى مؤسسة جمنلال من تمثل قيمها غير الشيخ مكرسا في نص الكلمة بأنه "على يقين بأن قيم التسامح و التوافق هي التي أنقذت تونس من نفس مصير بقية تجارب الربيع العربي " و ختم النص بالآية الكريمة التي يقول فيها سبحانه و تعالى ان قدر الانسانية هو التعارف و العمل المشترك من أجل مصلحة الجميع.و من باب أولى من يجمعهم الوطن الواحد "يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر و أنثى و جعلناكم

شعوبا و قبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم.."الآية13 سورة الحجرات

فالقيم الإنسانية اذا هي الجامع و مجال التنافس "فرغبة الشعوب في الحرية و العدالة و الكرامة رغبة مشتركه" و التأويل الإسلامية التي لا تنافس في تحقيق هذه الرغبة بل تتجه الى عكسها أو عرقلتها هي تأويل لاغيه.

أما الكلمة التأسيسية التي جاءت في اسناد الدكتوراه الفخرية للشيخ بجامعة ماليزيا فقد وضعت النقاط على الحروف في مهمة الإسلام الديمقراطي و قد ورد في شكل تحد و هذا "التحدي يتمثل في كيفية استئناف المسيرة الحضارية للإسلام في اطار متغيرات العصر. أي إعادة التفكير في الإسلام في تفاعل مع الحداثة وما ثبت نفعه من القيم الكونية".

و يحدد الشيخ المشكل بوضوح خاصة بعد الثورات العربية "اننا نعيش ما يمكن تسميته بمعركة تأويل الإسلام: بين تيارات العنف و التشدد و بين تيار الإسلام الحضاري" و الذي يرى الشيخ بان هذه

الجامعة على هذا الدرب درب الإسلام الحضاري. كما أنه يمكن أن نقول أن المعركة التأويلية في خطوطها العريضة هي بين التأويل الاستبدادي للوحي و التأويل الحر الديمقراطي الحضاري للوحي.

لذلك يلفت الشيخ انتباهنا في هذه الكلمة التأسيسية "ان التحدي الرئيسي الذي يعيشه مسلمو اليوم لا يتعلق بقضية الهوية بقدر ما يتعلق بوضع هذه الهوية في سياق المكان و الزمان". هذا من ناحية و من ناحية أخرى "فالسؤال الرئيسي ليس كيف نعيش اسلامنا بل الأهم من ذلك كيف نعيش اسلامنا في اطار عصرنا الراهن بكل ما يحمله من مكتسبات معرفية و مادية و ما يواجهه من مخاطر و تحديات"

قبل هذه التتويجات الثلاثة و غيرها بسنتين و نيف مازال خطر بعض التأويل للإسلام لم تتضح كارثيتها و مازالت استراتيجيات الهيمنة العالمية لم يشتد غموضها (فلكل هذين الأمرين كلمة (النص5 و النص 6))

وبمناسبة اختتام ندوة مركز دراسات الوحدة العربية حول الثورات العربية و الذي كان للشيخ شرف اختتامه في حفل العشاء الذي أقامه تكريما للمشاركين كانت كلمة اختتامية جامعة شاملة أتم فيها مرحلة و فتح مرحلة أخرى في أهم القضايا للأمة العربية الإسلامية كقضية الديمقراطية التي لا تقصي أحدا يعتبرها الشيخ تفسيرا للشورى في عصرنا هذا..

و اننا بصدد استئناف عصر أساسه الحرية منذ أن توقفت بعد المرحلة الراشدة و هذا يتطلب شخصيات جامعة يجد فيها كل تيار من تيارات الأمة ذاته عروبيا كان أو إسلاميا أو يساريا أو لبراليا. المهم الحرية هي الأساس و ملازمتا للتنمية الاقتصادية حتى يستفيد الجميع من ثروات أوطانهم "لأنه لا كرامة بدون عمل:من دون شغل" فالوطن للجميع "و قدرنا أن مجتمعاتنا متعددة. فلا مناص لنا من أن نتعلم فن التعايش: أن يقبل بعضنا بعضا"

كما جاء في النص أن هذه الثورات استعادة للحلم الذي جاء به رواد النهضة في ق 19م الذي يجمع "بين قيم الإسلام الخالدة و

القيم الكونية: الديمقراطية و الحرية والمساواة و المواطنة. هذا هو الرهان هل سنقدر على تحقيقه أم لا ؟ " و هذا مضمون اشتغال الإسلام الديمقراطي أن يكون التأويل في سبيل تحقيق الكرامة الإنسانية و ما يلزمها من آليات.

فالإسلام الديمقراطي آلية للنهوض بأوطاننا و أمتنا نحو حداثة عربية إسلامية ناتجة عن تطور ذاتي و تثاقف مع الآخر نساهم بها في مسيرة الحضارة الإنسانية المرتبطة بتاريخ الانسان في هذا الكون قديما و راهنا و مستقبلا "و لذلك نحن نرتاد أرضا جديدة" "وأنه لا معنى للثورة بدون أن تفتح طريقا جديدا لأمتنا" "الطريق الثالث هو طريق التغيير السلمي عبر حركة الشعوب. هو الذي في سنة واحدة استطاع أن يطيح بأكثر من دكتاتور. و أن يبعث روحا جديدة في الأمة و في العالم كله اليوم. ما يدل أن في الشعوب قوة الهية تحركت بشكل جماعي و في الطريق الصحيح. كما تحركت باتجاه القيم الصحيحة" قيم الإسلام و القيم الكونية المعاصرة.

و بعد تبين كارثية نسخ التأويل السيئة للدين و أصبح كأن الدين متماه مع العنف و معطل للديمقراطية و مشوش على الثورات العربية عقد مركز دراسات الوحدة العربية ندوة تحت عنوان "في اصلاح المجال الديني" كان للشيخ شرف افتتاحها في 2016/11/29

مثلت هذه الكلمة الافتتاحية كغيرها من النصوص نصا تأسيسيا للإسلام الديمقراطي اذ جاء مضمونها في صلب و جوهر ما يتطلبه الإسلام الديمقراطي و هو التأويل الديني بما يقتضيه الزمان و المكان و قد تمنى الشيخ من الدارسين في هذه الندوة أن يسهموا "اسهاما كبيرا في ألية العلاقة بين قضايا مهمة في ثقافتنا الإسلامية و هي قضية الدين في علاقته بالعلم. في علاقته بالسياسة. لأن الدين طاقة كبيرة. طاقة هائلة. و كل طاقة هائلة يمكن أن تحرق و تدمر و يمكن أن تنير و تبني. بحسب التأويل و بحسب الاستعمال لهذه الطاقة الهائلة" فالإسلام الديمقراطي هو الذي يتبنى التأويل الإيجابي للدين في اتجاه التنوير و البناء "و أن التأويل السيئ للإسلام .. تحول الى عامل انحطاط و عامل خمول و ترهل و تفرق و تقاتل و طائفية".

فالتأويل الديمقراطي هو الذي يؤكد على الفكرة الأساسية في الثقافة الإسلامية "فكر التوافق بين الدين و العقل " و عدم تناقضها.

و فكرة التوافق بين الدين و الديمقراطية. "و بالتالي نشدد باستمرار على الفكرة الرئيسية أن الدين و الديمقراطية لا يمكن أن يتناقضا. سلطة الشعب و سلطة الله لا يمكن أن يتناقضا"

"كما أن التأويل الإيجابي ينظر بعين الاعتبار لظاهرة التمايز بين المجالات. التمايز بين المجال الديني و المجال السياسي.. كون كل منهما يعمل في نطاق وظيفته الخاصة.. و مهمة المفكرين و العلماء و الساسة هو ليس ضرب هذا المجال بذلك و انما تحقيق التكامل في المجتمع "حسب" تأويل يعترف بكل هذه المجالات. يعترف بالتخصص و بدرء التناقض و بدرء هذا التحارب الذي يمزق أمتنا اليوم بين تيارات دينية و تيارات مناقضة لها"

و جاءت كلمت الشيخ في المنتدى الدولي لقناة TRT التركية تحت عنوان استلهام التغيير في زمن الغموض جوابا شكل مضمونا كاملا

للإسلام الديمقراطي خاصة بعد ما وُظفت جماعات التطرف لضرب الثورات غير أنه لعدة عوامل نجح التمشي الديمقراطي في تونس منها ما ذكره الشيخ في النص "ان الضغط الخارجي على هذا الموقع (تونس) أقل من الضغوط المسلطة على مواقع أخرى اكثر أهمية مثل مصر و سوريا و منها ما عبرت عنه النخبة التونسية من قدرات على إدارة الحوار بينها بعيدا عن العنف و تنازل بعضها لبعض من أجل الوصول الى توافقات مهمة في الدستور و في غيره بما نمى نظرية الديمقراطية التوافقية بديلا عن الديمقراطية المعتادة "وهنا لب الموضوع لماذا الحركة الإسلامية بتونس تجاوبت مع هذا المبدأ ولم يحصل لغيرها بمصر و سوريا؟. لا لشيء إلا لأن ثقافة الديمقراطية كانت قناعة و مبدأ راسخا خاصة في فكر رئيس الحركة كما وقعت الإشارة الى ذلك سابقا و تقدمت الشواهد على ذلك فكانت ثمرتها في التجاوب السريع مع كل يد امتدت للتوافق و التعاون لأن الحركة لها قناعة و تجربة في ذلك و زاد هذا النص ترسيخا للقناعة و تفعيلا لبعض الرؤى خاصة للتأويل الديني تأويلا

إيجابيا "يحتاجه المسلمون و غير المسلمين لإعطاء المعنى و القيمة الإنسانية وكذا الديانات الأخرى".

-القيمة و المعنى للعلم الذي يتطور بلا ضوابط وقد يفضي الى دمار شامل للإنسانية.

-يعطي المعنى للاقتصاد الذي ينمو منفلتا من كل محتوى انساني بل يدمر البيئة تدميرا بدل توفير حاجة الشعوب.

-يعطي القيمة الإنسانية قيمة المساواة و العدالة لنظام الأمم المتحدة الذي يمثل تطورا إيجابيا اذ اعترف للإنسان من حيث هو انسان بكرامة ولكنه لم يمض بهذا الاعتراف الى كل نتائجه".

ثم يختم الكلمة بنداء أخير للحركة الإسلامية متوجا به مسيرة ترشيدها حتى تتم نقلتها بتحول مشروعها الإسلامي "مشروعا تنمويا ينهض بحياة الانسان و يوقد شعلة الحماس فيها بالإسلام بالجهد و النصب و العرق سيحقق هذا الجيل من الحياة و الكرامة ما حققه جيل الحركة الوطنية من انتزاع أوطاننا من براثن

الاستعمار. أما الخلافة في عصرنا لن تكون أكثر من العمل على انتاج عالم إسلامي متقدم متعاون متضامن متحرر يرى فيه العالم صورة لمقاصد الإسلام في العدل و الحرية و الوحدة و التقدم العلمي و الإنسانية و الرحمة"

هذه النصوص و غيرها مما سينشر لاحقا تفتح أفقا جديدا و رحبا للحركة الإسلامية وفق تأويل إيجابي للدين تأويلا عقلانيا و حرا همه تفعيل مناط التكليف بدلا من تفعيل ظاهر النصوص فمناط التكليف العقل و الحرية و غايته تحقيق الكرامة الإنسانية. كرامة الانسان من حيث هو انسان و تشكل رؤية فكرية تساهم في الخروج من المأزق و المطبات التي تتخبط فيها و الثنائيات المفتعلة و التضاد و التنافر الى حد التقاتل لغياب التوافق و التكامل و التسامح و التعاون على البر و التقوى و المعروف التي تشكل مفردات الإسلام الديمقراطي. "فلا تاريخ خارج الحرية". ف "الحرية و أما الدمار"

**و العدل و العدالة الاجتماعية أساس العمران و لا أمان و لا استقرار بدونهما.**

# كلمة التكريم في مؤسسة ابن رشد

# كلمة التكريم في مؤسسة ابن رشد

بسم الله الرحمن الرحيم

أحيي مؤسسة ابن رشد للفكر الحر وأحيي السادة الدبلوماسيين والمفكرين وطلبة العلوم والصحافيين وأحيي الدولة الألمانية التي تحتضن هذه الجائزة و هذه الجمعية المبدعة.

أشكر لهذه الجمعية أن شرفتني بهذا التكريم الذي لا أعتبره تكريماً لشخصي فقط بل تكريما لتونس التي انبثقت منها شرارة الربيع العربي و لشهداء هذه الثورة وعلى رأسهم الشهيد محمد البوعزيزي الذي أوقد النار ليس في بدنه فحسب وانما في أنظمة الاستبداد والقهر في العالم العربي.

أحييكم على هذا التكريم الذي هو تكريمٌ للفكر العربي الذي برهن من خلاله السادة الذين كُرموا قبلي. أن العرب ما يزالون جزءاً من التاريخ وأن ابن رشد له أحفاد و مريدون في كل مكان.

ابن رشد سليل حضارة الأندلس التي أشعت بنورها على عالم القرون الوسطى ومثلت جسراً كبيراً لإيصال أنوار الحضارة العربية الإسلامية إلى أوروبا في القرون الوسطى.

العلامة الموسوعي الفيلسوف الحكيم الفقيه الأصولي الذي لاقى فكره الحر ضروباً من العنت ولكنه صمد واستطاع أن يمتد في التاريخ. وأحسب أن الثورة التونسية هي امتدادٌ بشكل ما للفكر الحر لابن رشد وابن خلدون.

ابن رشد أكد في فكره الفلسفي وفي رسائله على معانٍ آساسية. نحن اليوم في البناء الديمقراطي التونسي. نحرص عليها أشد الحرص. فقد أكد على معنى التوافق بين الدين والعلم. بين الفلسفة و الدين و قال بأن الدين شقيق للعقل و للحكمة . و في رسالته الشهيرة التي مثلت عنصراً أساسياً في تكويننا الفكري في ما يسمى الإسلام السياسي التونسي. و هي: (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال). أكد ابن رشد أن الوحدة صميمة بين الدين و العلم والفلسفة. حيث كانت الفلسفة تُكفَّر لدى بعض المتعصبين.

كان ابن رشد يعتبر أن الفلسفة طريق إلى الله لأنها تحث على معرفة الكون. و نص على أن زيادة العلم بالصنعة تزيد العلم بالصانع و كلما توغلنا في العلوم أكثر تعرفنا على ما في هذا الكون من إبداع ومن خلال ذلك نتعرف على المبدع و هو الله سبحانه و تعالى.

ولذلك رفض ابن رشد الدعاوى الموجهة للفلسفة على أنها تضل الشباب و تقود إلى الكفر. كان يرى انه يمكن أن يحصل أن بعض من يتعلمون الفلسفة يقعون في الضلال. ولكن ليس ذلك عيب الفلسفة لأنه على افتراض أن أحدا شرب الماء فشرق فمات هل هذا يعني أنه يجب منع شرب الماء ؟؟ ابن رشد أكد على معنى الوحدة في الكون و تناغمه و بالتالي فانه يرى أن لا يضرب الدين بالعلم و لا العلم بالدين.

في تونس، تنبه مصلحوا القرن التاسع عشر إلى البون الشاسع بين الحضارة الإسلامية التي وقعت في التخلف وبين ما وصل إليه الغرب. فنفضوا الغبار عن فكر ابن خلدون و ابن رشد وأعادوا الاعتبار للعقل و العلم. وانطلقوا من كون الإسلام لا يمكن أن يكون نقيضاً للعلم والتقدم والحرية وإنما هي الفهوم الخاطئة للإسلام والتي ما تزال الى اليوم تَربط الإسلام بالإرهاب و بظلم المرأة و بمحاربة الفنون الجميلة. ولذلك أرسى هؤلاء المصلحون لثقافة تجمع بين التقدم العلمي الذي وصل إليه الغرب وبين مبادئ الإسلام الذي هو حرب على الجهل و التخلف و الظلم و الفساد. وكانت هذه هي المنطلقات التي ارتكزت عليها الحركة الوطنية في تونس في عشرينات القرن الماضي ثم بعد ذلك تفرعت الى فروع. و

اليوم تعيش في تونس ثلاث مدارس أساسية هي المدرسة الدستورية و اليسارية و الإسلامية. و هي كلها امتداد لفكر ابن رشد و ابن خلدون.

و قد اهتم الأستاذ محمد عابد الجابري الذي كرمته هذه المؤسسة بفكر ابن رشد وأبرز العقلانية فيه بحيث وسم الفكر المغاربي أي في المغرب العربي و الأندلس بأنه عقلاني وبأن الفكر المشرقي فكرٌ عرفاني.. و بقطع النظر عن مدى الفصل بين مشرقٍ ومغربٍ فإن فكر ابن خلدون وفكر ابن رشد كان لهما تأثير كبير على هذه المنطقة.

هذه المدارس التي أسلفت ذكرها و التي هي امتداد للحركة الإصلاحية والتي كانت امتدادا لفكر ابن رشد في العقل و العلم والتقدم و التوافق و التوحيد. بعضها أكد على معنى الهُوية مثل الحركة الإسلامية. وبعضها أكد على معنى الدولة و التنمية العلمية والتنمية الصحية والبعض الاخر أكد على الجانب الاجتماعي و فكرة العدالة..

هذه المدارس تناقضت ولكنها اليوم تعود إلى نفس الجذور الخلدونية والرشدية و الإصلاحية. والثورة التونسية وهي امتدادٌ لهذا الفكر برهنت على أن التونسيين يمكن أن يتوافقوا و أن

يصنعوا دستوراً مشتركاً لا يُحدث تصادما بين الإسلام والعقل والحرية والديمقراطية بل يقوم على معنى التوافق الذي نشدته الحركة الإصلاحية.

الربيع التونسي هو الشجرة التي ما تزال واقفة اليوم في غابة حطمها فكر التناقض والتصادم بين إسلاميين وعلمانيين. بين مجتمعٍ سياسي ومجتمعٍ ديني، و قد برهنت تونس على معنى التوافق و التوحيد وعلى أن المراحل الانتقالية لا تتحمل التصادم..

ففي ظل الديمقراطية العادية، نسبة 51 % كافية للحكم ولكن في الديمقراطية الانتقالية كالتي يعيشها الربيع العربي فإنها نسبة غير كافية لأن 49 % الآخرين سيعملون على إفشال أصحاب الـ 51 %. وهذا الذي هدد الربيع التونسي لولا أن رجعنا إلى فكر ابن رشد أي التوافق، فقبلنا نحن في حركة النهضة بأن ننسحبَ من السلطة التي هي مستحقة لنا بالانتخاب لأننا رأينا بأن البيت سيسقط على رؤوس الجميع، واستعضنا عن ذلك بفكر التوافق ودخلنا في حوارٍ وطني شمل 22 حزبا مع أهم منظمات المجتمع المدني، وبعد أشهر من الحوار الذي لم يقصِ أحدا. توصلنا إلى هذا الدستور التوافقي وإلى هيئة انتخابية مستقلة تدير الانتخابات ليست تحت ظل وزارة الداخلية، و أصبحت لنا هيئة للعدالة الانتقالية و هيئة للإشراف

على الإعلام و انتهت وزارة الإعلام و لا سلطة لوزارة الداخلية عليه.. كل هذا ما كان ليحصل لولا استعاضتنا عن فكر المغالبة بفكر التوافق الذي استطاع أن يحمي شجرة تونس من الانهيار.

اليوم الحديث كثير عن خريف عربي وليس ربيع عربي، بنبرة شامتة فيها تزذيل للعرب والمسلمين على أنهم لا يصلحون للديمقراطية و كأن في جيناتهم شيء مغروس ضدها و ضد الحرية. بينما العرب بذلوا من أجل الحرية أكثر مما بذله غيرهم ولكن لأسباب كثيرة تعود للتاريخ والجغرافيا والدين و الموقع و الثروات في هذه المنطقة لم يصلوا الى الحرية بعد. وإنني على يقين بأن الثورة التونسية أدخلت العالم العربي في عصر جديد هو عصر الحرية مثلما فعلت الثورة الفرنسية التي أدخلت أوروبا عصرا جديدا ولكن إلى أن تفرز الحرية نظاماً ديمقراطياً هناك مسافة و أرواح ستسقط ودماء ستسيل وتضحيات ولكن في النهاية "العفريت سيخرج من القمقم".

بالثورة التونسية سقطت فكرة الخوف وهيبة المستبد، فقد كان يظن بأن المستبد لا يُقهر. ولكن العرب رأوا حاكماً دكتاتوراً يهرب بليلٍ و أخر يُحمل إلى المحكمة في قفص، آخر يقطع إرباً إرباً و آخرا محاصراً في قصر.. وهكذا سقط الرعب.. الحاكم المرعب لم يعد

مرمياً لأن الشعوب اكتشفت ذاتها و تذوقت طعم الحرية ولذلك لا عودة للاستبداد في العالم العربي. والمسألة مسألة وقت حتى يلتحق هذا العالم العربي بالعالم و حتى تعمّ الديمقراطية هذه المنطقة التي بقيت كالثقب الأسود و حتى يتحرر من الديكتاتوريات. و على الطغاة العرب أن يعوا أنه لا مستقبل للاستبداد. ليس لهم إلا أحد أمرين أن يكون الواحد فيهم حاكما عاقلا بعد روح التحرر الجديدة التي انبثت في العالم العربي. و هناك من الحكام من أقدموا تلقائيا على إصلاحات حقيقية مثلما حصل في كثير من الأنظمة الملكية في أوروبا مثل بريطانيا.

ملك المغرب تمتع بقدر من الذكاء حيث قام بإصلاحات جيدة قابلة لأن تتطور نحو الديمقراطية. و نتمنى من الاخرين أن يبادروا الى القيام بإصلاحات حقيقية و اذا لم يفعلوا ذلك فموجة الحرية متواصلة ولن يعود العالم العربي إلى الوراء ما دام العالم كله أصبح قرية صغيرة ينتشر فيها الخبر في لحظات و يطلع فيها الناس الى ما يجري في كل مكان. ولهذا فنحن مستيقنون أن المستقبل للحرية و ليس للاستبداد.

نحن ننتمي إلى بلدٍ صغير اسمه تونس و ليس لدينا مشروع لتصدير الثورة الى العالم. و ثورة تونس للاستهلاك المحلي و ليست

للتصدير. ولكننا استطعنا أن ننمّي نموذجا للانتقال الديمقراطي السلس حيث يتوافق الاسلام مع الديمقراطية وحيث يتوافق الاسلاميون مع العلمانيين.. هذان التياران اللذان تصارعا طيلة نصف قرن. و تونس برهنت أنهما قادران على أن يتعايشا.

و قد رأيتم في البرلمان التونسي مشهداً بديعاً يضم كل الطيف الذي أثمرته الانتخابات حيث صوت الاسلاميون لرئيس برلمان ليس من حزبهم وصوت الحزب الأول لاختيار نائب له من الاسلاميين وهو في الآن نفسه نائب رئيس حركة النهضة و تنافسه امرأة شهيد فيقبل رأسها إكباراً لمكانتها و مكانة زوجها حتى يبرهن أن التونسيين مهما اختلفت اتجاهاتهم انما ينتمون إلى وطن واحد. لأن الوطنية هي الأساس الذي ينبغي أن توزع على أساسه الحقوق، فمفهوم المواطنة مفهوم أساسي في النظام الديمقراطي و في الإسلام. فالنبي عليه الصلاة و السلام أقام دولة المدينة المنورة على أساس دستور الصحيفة و أعطى حقوق المواطنة لكل سكان المدينة بما فيهم القبائل اليهودية المقيمة فيها. ولذلك فان اليهود لم يعرفوا الاضطهاد في تاريخ الحضارة الإسلامية لأن الاسلام أسس لمعنى المواطنة و أن الحقوق توزع على أساس الانتماء إلى الأرض وليس على أساس الانتماء إلى العقيدة. تونس هذا البلد الصغير بحجمه

قادر على أن يشعل نوراً يضيء سماء العالم العربي يؤسس لمحاربة كل أنواع الطغيان و الإرهاب. و اللذين ينفقون الأموال الطائلة على محاربة الإرهاب. لو أنفقوا شيئاً قليلاً منها على نشر الديمقراطية لكانوا فائزين في الحقيقة.

الإرهاب هو ثمرة للاستبداد والتعفن السياسي و الاجتماعي. ولذلك فان من يزرع الاستبداد يحصد داعش. والاسلام يكفر بالاثنين معاً.

مرض الارهاب لايحارب بالصواريخ والطائرات. فهذا جانب من الأمر، و هي لن تقضي عليه ما لم تقضي على أسبابه وجذوره في المجتمع و هي فساد السياسة و فساد الاقتصاد و فساد تأويل الإسلام. لأن الاسلام يُعلي مكانة الحرية للمسلم و لغير المسلم "لا إكراه في الدين". وقد انطلقنا سنة 1981م في مجال السياسة بقيمة واحدة و هي الحرية لنا و للجميع. و عندما أعلنا عن حزبنا في تلك السنة. سألني صحفي: أنتم عقانديون إسلاميون ما رأيكم لو أن الشعب التونسي انتخب الحزب الشيوعي. فما تُراكم فاعلين؟ هل تخرجون للجبال؟ هل تعلنون الإرهاب؟

قلنا له سنحييهم لأن الشعب انتخبهم وليس علينا إلا أن نتجه إلى الشعب لكي يغير رأيه في الانتخابات التالية لأن الديمقراطية ليس فيها منتصر أبدي وليس فيها منهزم أبدي بل يوجد تداول.

أنا لم أستاء بعدما أصبحنا الحزب الثاني بدل الأول بل هنأت الفائزين. و لا يهمنا أن نكون دائماً في السلطة بل يهمنا اننا عندما نخرج من السلطة لا نذهب إلى السجن أو القبر.

أحد الشعراء يقول "لنا الصدرُ دون العالمين أو القبر". أما نحن فنقول إن بين الصدر والقبر مسافة شاسعة بحيث ليس بالضرورة أن يكون الواحد إما في كرسي الحكم أو في القبر. بل يوجد مكان للمعارضة. ولذلك فإننا عندما أسسنا دستوراً تركنا مكاناً للمعارضة. مثل اللجنة المالية في المجلس.

منذ سنة 1981م ونحن نرسخ لثقافة الحرية في الإسلام. لأنها ليست مجرد شعار فالإسلام لا يأتي الناس إليه مكرهين ولا يبقون فيه مكرهين أيضا لأنه لا قيمة لإيمان يقوم على الإكراه و لا يقوم على الاقناع و أكدنا في دستورنا على حرية الضمير. و منعنا دعوات التكفير و احترمنا التعددية والحرية والحقوق.

لقد أسسنا أيضا للمساواة بين الجنسين. واحترمنا التناصف بين الذكور والإناث في البرلمان فمن بين 89 نائبا من كتلتنا كان من بينهم **42** امرأة.

و لا ندعي أننا وصلنا مرحلة الكمال بل ما زلنا نتعلم وتعودنا على تقييم مساراتنا وكثيراً ما وقفنا على أخطائنا لأن الديمقراطية ليست كأساً نحتسيها مباشرة و لكنها مسار نتعلمه ونوطّن أنفسنا عليه ولذلك فإننا نمارس النقد داخلنا و نقبل النقد من خارجنا و نتعلم من غيرنا وهذا هو الدرس الرشدي الذي تركه في الناس و هو الدرس الإسلامي : "طلب العلم من المهد إلى اللحد".

نشكر هذا الجمع الكريم الذي كرمنا وكرم الثورة التونسية و نشكركم ونقدر جهدكم ونؤمن بأن مستقبلنا واحد و كلنا من أبٍ وأمٍ واحدة " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ". فالله عز و جل لم يخلقنا ليقتل بعضنا بعضاً أو لنحارب بعضنا بعضاً. بل خلقنا لنتعارف ونتبادل المعرفة و العلم و المنافع. وهذا هو فكر ابن رشد. حرية العقل و حرية العلم و حرية التفكير و حرية الاختيار وهذه هي الحداثة الحقيقية ونحن على هذا الطريق سائرون و شكراً لكم.

و السلام عليكم ورحمة الله و بركاته.

# خطاب الشيخ راشد الغنوشي في حفل تسليم جوائز جمنالال باجاج

# خطاب الشيخ راشد الغنوشي في حفل تسليم جوائز جمنالال باجاج

السادة و السيدات

السلام عليكم

شكرا على إختيار منظمتكم المحترمة لشخصي للحصول على الجائزة الدولية لجمنالال باجاج لنشر القيم الغاندية لسنة 2016.

إنّه شرف كبير لي أن أحظى بهذا التكريم.

أريد أن أهنئ بقيّة الحاصلين على التكريم الحاضرين معنا هذه الليلة.

وأنا أقف أمامكم هذه الليلة، أتذكر مقولة شهيرة للزعيم ماهاتما غاندي يقول فيها

"في البداية يتجاهلونك

ثم يسخرون منك

ثم يحاربونك

ثم تنتصر."

هذه المقولة تلخَص بشكل واضح ما عانه شعبنا لعقود طويلة من القمع و الدكتاتورية و التعذيب و الفساد.

لكن السجون و المنافي و القمع لم تحل دون تحقيق رغبة شعوبنا في الحريّة و الكرامة.

شعبنا التونسي العظيم تمكّن من إسقاط الدكتاتوريّة بطريقة سلميّة.

شعبنا نجح أيضا في صناعة ما بات معروفا اليوم بالنموذج او الاستثناء التونسي بإصراره على تكريس الديمقراطية و بتبنيه الحوار ونهج التوافق كسبيل وحيد لإدارة الإختلاف.

لهذا السبب أريد أن أهدي هذا التكريم اليوم إلى الشعب التونسي.

أريد أن أهدي هذا التكريم خاصة لشباب و نساء تونس و لضحايا الإستبداد على شجاعتهم و تضحيتهم من أجل تحقيق الديمقراطية و الحرية.

السيدات والسادة:

المهاتما غادي يقول

"الضعيف لا يسامح أبدا.

التسامح من شيم الأقوياء"

انا على يقين بأن قيم التسامح و التوافق هي التي أنقذت تونس من نفس مصيربقيّة تجارب الربيع العربي.

هذه المقولة يمكن أن تلخّص مسار حركة النهضة الذي إنتهجته منذ الثورة.

حركة النهضة فازت بأوّل إنتخابات نزيهة و شفافة في سنة 2011 بعد الثورة. و رغم ذلك لم نقدم على الثأر من الذين شاركوا في قمعنا سابقا. و رفضنا قانون مقترحا للعزل السياسي يمنع رموز النظام القديم من المشاركة في الحياة السياسية.

اتخذنا هذه الخيارات الصعبة لأننا نؤمن بحاجتنا لفتح صفحة جديدة في تاريخ بلادنا و لأننا نؤمن بأن الوطن للجميع و أن سفينة تونس يجب أن تسع لكل أبناءها و بناتها.

عندما خلق الإستقطاب السياسي الحاد أزمة سياسية خطيرة في صائفة سنة 2013 مثل ذلك تهديدا مباشرا لديمقراطيتنا الناشئة. خلال تلك الفترة الصعبة كان الهاجس الأساسي الذي يلازمني هو كيف نحافظ على مسار الإنتقال الديمقراطي من الإنهيار لأنه يمثل حلم أجيال في بلادنا وحتى في المنطقة.

همنا حينها كان الحفاظ على الوطن و وحدته و إستقراره.

لهذا السبب قبلت دعوة قائد المعارضة حينها و رئيس الجمهورية الحالي السيد الباجي قائد السبسي للحوار.

خلال الحوار الوطني الذي جمع 17 حزبا. قبلت حركة النهضة التخلّي عن السلطة التي نالتها في إنتخابات حرة و نزيهة و تسليمها لحكومة تكنوقراط. هذه التضحية الكبيرة كانت مقابل إعادة قطار الإنتقال الديمقراطي إلى السكّة و الإنتهاء من صياغة الدستور الديمقراطي و فتح الطريق نحو تنظيم إنتخابات جديدة.

توافقات الحوار الوطني حمت ديمقراطيتنا الناشئة و حمت تونس من السقوط في الفوضى و من العودة إلى مربع الدكتاتورية. وأنا من هذا المنبر أوجه تحية للرباعي الراعي للحوار الذين تحصلوا على جائزة نوبل للسلام تقديرا لمجهوداتهم، وأوجه تحية الى بقية الأحزاب المشاركة في الحوار الوطني. كما أوجه تحية خاصة من هذا المنبر الى الرئيس الباجي قايد السبسي الذي يواصل قيادته لمنهج التوافق لتحقيق الوحدة الوطنية وإنجاح مسار الإنتقال الديمقراطي.

السادة و السيدات:

منذ سنة 2011 حققت تونس العديد من الإنجازات السياسية:

تم تنظيم ثلاث إنتخابات حرّة و نزيهة و ديمقراطية.

تم التوافق على أفضل دستور تقدّمي في الوطن العربي صادق عليه مجلس تأسيسي منتخب ديمقراطيا

نسبة مشاركة النساء في البرلمان هي الأعلى في المنطقة

تم التنصيص على ضمان حقوق التونسيين في حرية التنظم و حرية الضمير و المعتقد و التعبير.

السادة و السيدات:

لا يزال أمام تونس طريق طويل لتحقيق الإستقرار لأننا نحتاج بشكل عاجل إلى خلق الفرص و الأمل لشبابنا.

نحتاج لتوفير البنية التحتية و توفير الخدمات الضرورية لشعبنا.

نحتاج لمحاربة الفساد و تقوية مؤسساتنا الديمقراطية.

مواطنونا. و خاصة من الشباب. في المناطق الفقيرة و المهمّشة يجب أن يشعروا بأن الديمقراطية يمكن أن تغيّر واقعهم إلى الأفضل.

التجربة التونسية يجب أن تنجح من أجل المنطقة و من أجل كل العالم.

السادة و السيدات:

انا سعيد بالقول أنه منذ الثورة لعب سفراء الهند بتونس أدوارا إيجابية في دعم الإنتقال الديمقراطي من خلال برامج مختلفة. و انا سعيد أيضا بأن أعلمكم بأنه قد تم إفتتاح أوّل فرع لشركة كبرى هنديّة لتركيب العربات تحت إشراف الحكومة التي كانت تقودها النهضة سنة 2013.

أودّ أيضا أن أستغل هذه الفرصة لدعوة مجموعتكم الموقرة و كل الشركات الهندية للقدوم إلى تونس للتعرف على فرص الإستثمار الكبيرة المتوفرة بالبلاد.

الهند كاكبر ديمقراطية في العالم من حيث عدد السكان و تونس كأصغر ديمقراطية من حيث العمر يجب أن يعملا معا بشكل أكبر.

أنهي بهذه الآية من القرآن الكريم التي يقول فيها الله سبحانه و تعالى أن قدر الإنسانية هو التعارف و العمل المشترك من أجل مصلحة الجميع.

قال تعالى:

"يا أيها الناس، إنا خلقناكم من ذكر و أنثى، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم."

شكرا جزيلا.

# كلمة الأستاذ راشد الغنوشي اثر تسلم الدكتورا الفخرية بجامعة ماليزيا

## كلمة الأستاذ راشد الغنوشي اثر تسلم الدكتورا الفخرية بجامعة ماليزيا

بسم الله الرحمان الرحيم

معالي السيد الدكتور رايس يتيم. مستشار الحكومة الماليزية للشؤون الاجتماعية والثقافية ورئيس الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

السيد عميد الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بروفيسور دكتورة زليحا قمر الدين. السيدات والسادة الأكاديميين وأعضاء سلك التدرس أبنائي وبناتي الطلاب الضيوف الأكارم

أبدء كلمتي بتوجيه شكري لهذه الجامعة العريقة والقائمين عليها على تكريمي بشهادة الدكتوراه الفخرية في الفلسفة والحضارة الإسلامية.

إن هذا الصرح العلمي المتميز يمثل نموذجا فريدا من نوعه في العالم الإسلامي. لما يتيحه من حرية البحث الأكاديمي وسعيه الحثيث الى ربط شتى العلوم والمعارف بقيم الاسلام الكبرى

ومقاصده العليا. وكأني بهذه الجامعة تستأنف الدور الريادي المعطل للحضارة الاسلامية . وربما تكون ماليزيا التي حباها الله باستقرار سياسي ونجاح تنموي ونطور مدني في إطار من التوافق مع الإسلام مهيأة للقيام بهذه المهمة التاريخية العظيمة.

أشكر لهذه الجامعة أن شرّفتني بهذا التكريم الذي لا أعتبره تكريما لشخصي فقط بل تكريما لتونس التي انبثقت منها شرارة الربيع العربي ولشهداء هذه الثورة.

السيدات و السادة ان التحدي الرئيسي الذي يعيشه مسلمو اليوم لا يتعلق بقضية الهوية فحسب. بقدر ما يتعلق بوضع هذه الهوية في سياق المكان و الزمان. فالسؤال الرئيسي ليس كيف نعيش اسلامنا بل الأهم من ذلك كيف نعيش اسلامنا في عصرنا الراهن، بكل ما يحمله من مكتسبات معرفية و مادية. و ما يواجهه من مخاطر و تحديات.من هنا تتأتى أهمية التفكير الحي و المتبصر في الاسلام و في قضايا بداية تسعينيات القرن الماضي .

السيدات و السادة لقد كان للحضارة الاسلامية دور متقدم في استيعاب مختلف العلوم و المعارف التي ورثتها عن الحضارات السابقة مع العمل على تطويرها و تجديدها.

فلم يبرع المسلمون في علوم اللغة و الفقه و الأصول بل كان لهم اسهام متقدم في تطوير الفكر الفلسفي و العلوم التجريبية و الرياضية و في أشكال العمران و ادارة شؤون الحكم. و ما كان للحضارة الاسلامية أن تبلغ ذلك الشأن المتقدم من دون روح الابتكار و الانفتاح الواسعين. فقد كانت الحضارة الاسلامية فضاء مفتوحا لاستيعاب مختلف الثقافات و الحضارات السابقة من الرومانية و الساسانية و الهندية و الصينية و غيرها. كما صهرت طيفا واسعا من الأديان و المذاهب و الأعراق في بوتقة موحدة. و لكن في اطار واسع من التعدد و التسامح. كما أخذت الحضارة الاسلامية بكل وسائل المدنية و العمران التي ورثتها من العمل على تطويرها و تهذيبها بما يستجيب لحاجيات المسلمين. بيد أن هذه الطاقة الحيوية التي صنعها الاسلام من خلال حثه على توسيع أفاق النظر و التأمل في الكون و الأنفس و التاريخ (قل سيروا في

الأرض ...)قد خبت بعامل الوقت. و مالت الحضارة الاسلامية تدريجيا الى الشكلانية و رتابة الجمود و التكرار. دون أن نعدم وجود أصوات كانت ترتفع منادية بإحياء جذوة الابداع و التفكير الحر في الاسلام.

السيدات و السادة ان التحدي الرئيس الذي يواجهنا جميعا اليوم، و في مقدمة ذلك هذه المؤسسة الجامعية المتميزة يتمثل في كيفية استئناف المسيرة الحضارية للإسلام في اطار متغيرات العصر. أي اعادة التفكير في الاسلام في تفاعل مع الحداثة و ما ثبت نفعه من القيم الكونية التي لا يمكن أن تكون متناقضة مع أصول الاسلام و مقاصده العليا في الحرية و الكرامة و العدل و حقوق المرأة و التعدد و التسامح. لا يخفى عليكم اليوم اننا نعيش ما يمكن تسميته بمعركة تأويل الاسلام بين تيارات العنف و التشدد التي تريد أن تجعل من الاسلام عنوانا للقتل و ازهاق أرواح الأبرياء و تدمير العمران. و بين تيار الاعتدال الاسلامي أو ما أسماه السيد عبد الله بدوي رئيس وزراء ماليزيا السابق بالإسلام الحضاري، الذي

يرى الاسلام دافعا لقيم الخير و الحرية و العدالة و مستوعبا لكل ما هو جميل و نافع في العصر.

السيدات و السادة مثلت الحركة الاصلاحية الإسلامية منذ ولي الله الدهلوي و السيد أحمد خان في شبه القارة الهندية و جمال الدين الافغاني و محمد عبده و رشيد رضا في مصر و بلد الشام و الشيخ قابادو و بيرم الخامس و خير الدين التونسي و غيرهم في بلاد المغرب العربي اضافة متميزة في الفكر الاسلامي. فقد بذلت هذه المدرسة جهدا كبيرا في تجديد الفكر الاسلامي و تقديم الأجوبة المناسبة لقضايا العصر في اطار مقاصد الاسلام وفقه الواقع. و في تونس، تنبه مصلحو القرن التاسع عشر الى البون الشاسع بين الحضارة الاسلامية التي وقعت في التخلف و بين ما وصل اليه الغرب، فنفضوا الغبار عن فكر ابن خلدون الواقعي ومدرسة الشاطبي في المقاصد الاسلامية و أعادوا الاعتبار للعقل و العلم . و كانت هذه المنطلقات التي ارتكزت عليها الحركة الوطنية في تونس في عشرينيات القرن الماضي و ليست الثورة التونسية في حقيقة الأمر إلا امتدادا لفكر الحركة الإصلاحية التونسية التي شددت على قيم

العدل و الحرية و اقتباس كل ما ثبت نفعه من الجوانب الفكرية و العمرانية الحديثة، برهنت على أن التونسيين يمكن أن يتوافقوا و أن يصنعوا دستورا مشتركا لا يحدث تصادما بين الاسلام و العقل و الحرية و الديمقراطية بل يقوم على التوافق الذي نشدته الحركة الاصلاحية.

السيدات و السادة الربيع التونسي هو الشجرة التي ما تزال واقفة اليوم في غابة حطمها فكر التناقض و التصادم بين اسلاميين و علمانيين. و بين مجتمع سياسي و مجتمع ديني، و قد برهنت تونس على معنى التوافق و التوحيد و على أن المراحل الانتقالية لا تتحمل التصادم .. ففي ظل الديمقراطية العادية . نسبة 51بالمائة كافية للحكم و لكن في الديمقراطية الانتقالية كالتي يعيشها الربيع العربي فإنها نسبة غير كافية لأن 49بالمائة الآخرين سيعملون على افشال ال51 بالمائة و هذا الذي هدد الربيع التونسي لو لا أننا تشبثنا بفن التوافق و التسويات السياسية بديلا عن سياسة النفي و الصراع المتبادل، فقبلنا نحن في حركة النهضة بأن ننسحب من السلطة التي هي مستحقة لنا بالانتخاب لأننا رأينا بأن البيت سيسقط على

رؤوس الجميع. و بذلك غلبنا مصلحة الوطن على الحزب و أعطينا أولوية لنجاح المسار الديمقراطي على موقع الحزب في الحكم ...كل هذا ما كان ليحصل لولا استعاضتنا عن فكر المغالبة بفكر التوافق الذي استطاع أن يحمي شجرة تونس من الانهيار. اليوم الحديث كثير عن خريف عربي وليس ربيع عربي بنبرة شامتة فيها ترذيل للعرب والمسلمين على أنهم لا يصلحون للديمقراطية و كأن في جيناتهم شيء مغروس ضدها و ضد الحرية. بينما العرب بذلوا من أجل الحرية أكثر مما بذله غيرهم ولكن لأسباب كثيرة تعود للتاريخ والجغرافيا والدين و الموقع و الثروات في هذه المنطقة لم يصلوا الى الحرية بعد. وإنني على يقين بأن الثورة التونسية أدخلت العالم العربي في عصر جديد هو عصر الحرية مثلما فعلت الثورة الفرنسية التي أدخلت أوروبا عصرا جديدا ولكن إلى أن تفرز الحرية نظاماً ديمقراطياً هناك مسافة و أرواح ستسقط ودماء ستسيل وتضحيات ولكن في النهاية لا مهرب من استحقاق العصر أي الحرية و الديمقراطية "العفريت سيخرج من القمقم و لا يمكن أن يعود" بالثورة التونسية سقطت فكرة الخوف وهيبة المستبد.

الحاكم المرعب لم يعد مرعباً لأن الشعوب اكتشفت ذاتها و تذوقت طعم الحرية ولذلك لا عودة للاستبداد في العالم العربي. والمسألة مسألة وقت حتى يلتحق هذا العالم العربي بالعالم و حتى تعُمّ الديمقراطية هذه المنطقة التي بقيت كالثقب الأسود.

نحن ننتمي إلى بلدٍ صغير اسمه تونس و ليس لدينا مشروع لتصدير الثورة الى العالم. و ثورة تونس للاستهلاك المحلي و ليست للتصدير. ولكننا استطعنا أن نبني نموذجا للانتقال الديمقراطي السلس حيث يتوافق الاسلام مع الديمقراطية وحيث يتوافقُ الاسلاميون مع العلمانيين هذان التياران اللذان تصارعا طيلة نصف قرن. و تونس برهنت أنهما قادران على أن يتعايشا.. . تونس هذا البلد الصغير بحجمه قادر على أن يشعل نوراً يضيء سماء العالم العربي يؤسس لمحاربة أنواع الطغيان والإرهاب. و اللذين ينفقون الأموال الطائلة على محاربة الإرهاب لو أنفقوا شيئاً قليلاً منها على نشر الديمقراطية لكانوا فائزين في الحقيقة. مرض الارهاب لايحارَب بالصواريخ والطائرات. فهذا جانب من الأمر. و هي لن تقضي عليه ما لم تقضي على أسبابه وجذوره في المجتمع و هي

فساد السياسة و فساد الاقتصاد و فساد تأويل الاسلام لأن الاسلام يُعلي مكانة الحرية للمسلم و لغير المسلم "لا إكراه في الدين". وقد انطلقنا سنة 1981م في مجال السياسة بقيمة واحدة و هي الحرية لنا وللجميع. منذ سنة 1981م ونحن نرسخ لثقافة الحرية في الإسلام. لأنها ليست مجرد شعار فالإسلام لا يأتي الناس إليه مكرهين ولا يبقون فيه مكرهين أيضا لأنه لا قيمة لإيمان يقوم على الإكراه و لا يقوم على الاقناع. و أكدنا في دستورنا على حرية الضمير و منعنا دعوات التكفير و احترمنا التعددية والحرية والحقوق. لقد أسسنا أيضا للمساواة بين الجنسين. واحترمنا التناصف بين الذكور والإناث في البرلمان و لا ندعي أننا وصلنا مرحلة الكمال بل ما زلنا نتعلم وتعودنا على تقييم مساراتنا وكثيراً ما وقفنا على أخطائنا لأن الديمقراطية ليست كأساً نحتسيها مباشرة و لكنها مسار نتعلمه ونوطّن أنفسنا عليه ولذلك فإننا نمارس النقد داخلنا و نقبل النقد من خارجنا و نتعلم من غيرنا وهذا هو الدرس الرشدي الذي تركه في الناس و هو الدرس الإسلامي : "طلب العلم من المهد إلى اللحد".

لشكر هذا الجمع الكريم الذي كرمنا وكرم الثورة التونسية و

لشكركم ونقدر جهدكم.

# الكلمة الاختتامية لندوة مركز دراسات الوحدة العربية تحت عنوان الثورات العربية

# الكلمة الاختتامية لندوة مركز دراسات الوحدة العربية تحت عنوان الثورات العربية[2]

1

بسم الله و الصلاة و السلام على رسول الله. و السلام عليكم و رحمة الله وبركاته. لا يمكن إلا أن أعبر عن تنامي سعادتي بحضور هذه الندوة الواسعة التي نعتبرها جزئا من احتفال تونس بمرور سنة على ثورتها المباركة. حقيقة هذا اسهام كبير من مركز دراسات الوحدة العربية في الاحتفال بعيد الثورة. مفتتح ثورات الربيع العربي. فلا غرو و لا عجب أن تنعقد هذه الندوة في تونس الثورة معلنة عن عهد جديد. حرمت تونس طويلا من استضافة اخوانها العرب و اخوانها المسلمين. وهي تنتمي و أعظم انتماء لها الى أمة العرب و المسلمين. و لكنها حرمت لدهر طويل من استضافة مثل هذا المنتدى و هذه الندوة الكبيرة التي يقيمها مركز كبير. هو مركز دراسات الوحدة العربية. أحيي أخي و حبيبي د. خير الدين حسيب.

---

2 تونس في 2012/02/08

أحييكم فيه جميعا. و الحقيقة أنني في عزلتي و في غربتي، كان مركز دراسات الوحدة العربية خير ملجأ و خير أنيس و خير صديق. و عندما هاجرنا الناس.. معظم الناس. كان د. حسيب قريبا منا.. يؤنسنا.. يشعنا.. يشد أزرنا. و لاقا من ذلك ما لاقا كل أصدقائه. فطبعه فقط لكتابي أو لأحد كتبي. -و لا أريد الادعاء أن لي كتبا - مثل بالنسبة اليه محنة كبيرة قادته في النهاية الى أن احتجز ليلة كاملة في مطار تونس. نعم؟ و كان ذلك تعبيرا عن تعاطفه مع محنة الشعب التونسي. الحقيقة أولا مركز دراسات الوحدة العربية. كان له فضل كبير ليس في إقامة هذه الندوة التي جمعت مختلف الطيف العربي من مختلف بلاد العرب و حتى المهاجر فحسب. و انما في التبشير بل و التأسيس لوحدة عربية حقيقية تقوم على الثقافة: تقوم على الفكر المشترك.. تقوم على الديمقراطية.. تقوم على التنمية. تقوم على مشروع كامل. العرب اشتهروا في هذا العصر بأن أنفاسهم قصيرة ..و اصداراتهم قصيرة العمر. كثيرة هي مجلاتهم و كثيرة هي دورياتهم الفكرية و جمعياتهم. و كثيرا ما كان عمرها قصيرا. و لكن من سعادتي و سعادة العرب أن مركز دراسات

الوحدة العربية مديد العمر .. طويل الأنفاس.. خصبا.. منتجا.
وجمع مختلف التيارات العربية و منها التيار الإسلامي. كانت ندوة الحوار الإسلامي القومي التي انعقدت بمصر عام 1989 . قد انتهت الى أمرين. الأمر الأول عام. و الأمر الثاني خاص. أما الأمر العام فهو إرساء قاعدة -دعنا من كلمة قاعدة- إرساء أساس متين لاستعادة الاجماع بين أهم تيارين هما التيار القومي و التيار الإسلامي. و حتى أن طموحنا كان أن تزيل هذه (الواو). أي أن لا نقول التيار القومي و التيار الإسلامي. انما نقول التيار العربي الإسلامي أو التيار القومي الإسلامي. و في الحقيقة الرجال الذين قادوا المؤتمر القومي الإسلامي. كان يتنازعه الفريقان. فهذا يقول فلان قومي. و الاخرون يقولون فلان إسلامي. مثل المرحوم الدجاني. المنسق للمؤتمر القومي الإسلامي. الذي: نحن الإسلاميين نعده إسلاميا و إخواننا القوميين يعدونه قوميا. و كذلك الذي خلفه بعد ذلك الأستاذ المتوكل. هو نفسه أستاذ تفسير قرأن في جامعة صنعاء. ثم الثالث و هو صديقنا "أبو فادي" و هو منير شفيق. أيضا القوميون يعزونه الى أنفسهم. و كذلك يفعل الاسلاميون. فإذا كثر هذا النموذج

فأمتنا على خير. عندما يكثر هذا النموذج الذي يرى فيه الجميع أنفسهم و ما يشبههم فنحن اذا : على الطريق القويم و الربيع العربي اليوم. هو في الحقيقة ربيع عربي و هو اليوم ربيع إسلامي، و هو ربيع حداثي. و هو ربيع وحدوي و لا شك. فلا ينبغي أن يرتاب أحد أن هذا الربيع العربي الذي يفخر التونسيون بأن شرارته انطلقت من أرضهم الطيبة. هذا الربيع العربي لا شك أنه ربيع عربي يسعى الى احياء اللغة العربية و آداب اللغة العربية. فلا مستقبل لأمة بلا ثقافة و يسعى الى توحيد أرض العرب. و يسعى الى تحرير فلسطين. و يسعى الى استعادة الاجماع في يد الأمة و الى التنمية الحقيقية . و الى بسط العدل في هذه الأمة. و كل ذلك ليس تصادما مع القيم الكونية و مع قيم الحداثة و الحرية و الديمقراطية و حقوق الانسان و المساواة بين الجنسين. هذه القضايا لا تتصادم. انما كلها تنسجم في سياق واحد. كما كان أمر أمتنا في التاريخ استوعبت الاداب اليونانية و استوعبت الآداب الفارسية. و استوعبت كل الحضارات. هكذا الحضارات لا يلغي بعضها بعضا. انما يستوعب بعضها بعضا.

أشكركم جميعا على استماعكم. و على حسن تحاوركم. و أحاول أن ألقي بعض الأضواء، إضافة الى ما تقدم. فأقول ليس هناك فعلا نموذجا يحتذى به. و ليس هناك نموذج للدولة الإسلامية. و ليس هناك نموذج للدولة الحداثية. كل بلد و كل تجربة مطلوب أن تبدع نموذجها متفاعلة مع واقعين على الأقل. مع واقعها. و مع قيم الحداثة و القيم الكونية. فنحن نتفاعل. و أظن ان العالم الإسلامي منذ القرن التاسع عشر عاش و خامره هذا الحلم. و هذا الرهان. عندما استفاق على البون الشاسع بينه و بين الغرب، و أدرك أن هناك خللا في بنيته لا بد من تجاوزه. على الأقل لتلافي احتمالات الخطر الداهم أي الاحتلال. فكانت في استانبول و في القاهرة و في تونس و في غيرها محاولات رهانها المزاوجة بين الإسلام و قيم الحداثة هذا هو الحلم الذي أجهضه. في تقديري. الاستعمار و الاحتلال. و جاء يقضي عليه من أجل فرض نموذج. اذا أردتم الحداثة وبركتها . اذا أردتم العلم و التقدم. فعليكم أن تدفعوا دينكم ثمنا. و لذلك نقدر أن هذه الثورات

استعادة لهذا الحلم. الذي جمع بين قيم الإسلام الخالدة. و القيم الكونية: الديمقراطية و الحرية و المساواة و المواطنة. هذا هو الرهان. هل سنقدر على تحقيقه أم لا ؟

نقدر أن هذه الشعوب التي صنعت هذه الثورات و دفعت هذه الأثمان الباهظة. مؤهلة لأن تصنع و تحقق ذلك. و أستاذنا مصطفى الفيلالي بين هذا و ركز على التطورات التي حصلت في الفكر الإسلامي. فليس هناك فكر إسلامي واحد. كثير من المحللين يقرون أن الظواهر الاجتماعية ظواهر متطورة. و لكنهم يريدون أن ينظروا الى الحركات الإسلامية على أنها خارج هذا القانون ! الحركة الإسلامية ظاهرة اجتماعية. و بالتالي هي خاضعة لقانون التطور. و النقطة التي انطلقنا منها ليست هي التي انتهينا اليها بالتأكيد. ولكن كل ذلك هو فهومات و اجتهادات للإسلام. مثلا كنا ننظر بريبة. أو برفض. الى مجلة الأحوال الشخصية. انتهينا عام 1988 الى اعتبار أن المساواة بين الجنسين. كما وردة في هذه المجلة جزء من الاجتهاد الإسلامي. و يمكن اندراجه ضمن الاجتهاد الإسلامي. و لذلك منذ ذلك التاريخ. لم تعد هناك مشكلة عندنا. و على الرغم من أن

النظام السابق حاول عزل الحركة الإسلامية و حشرها في أنها أصولية. وخطر على الحداثة و الديمقراطية و المجتمع المدني و المساواة بين الجنسين.و توظيف الفئات الحداثية و كأنها مدافعة عنها.على الرغم من ذلك لم يبتعد المجتمع التونسي و نخبه عنا بعيدا. ففي الألفية الأخيرة. أي الألفية الجديدة عاد حجم التواصل و حجم الحوار. و عادت خيوط الحوار بين الحركة الإسلامية و الحركات الحداثية. و انتهى ذلك. و هذه الجزئية مهمة. و أظن أن الباحثين ينبغي أن يركزوا عليها. انتهت نخب الحداثة. في تياراتها الأساسية. مع الحركة الإسلامية. حركة النهضة. الى الاتفاق حول ما يسمى ميثاق 18تشرين الأول/أكتوبر عام 2005 ففي عام2005. اتفق الإسلاميون مع أهم التيارات: التيار الشيوعي. و التيار الليبرالي. و التيار الاشتراكي. على وثائق تتعلق بالاتفاق على النموذج الديمقراطي. اننا جميعا نناضل من أجل نموذج ديمقراطي تعددي. رفض العنف سبيلا الى الوصول الى السلطة و الى البقاء فيها. و الاتفاق على المساواة بين الجنسين كما ورد في القانون التونسي. و الاتفاق على العلاقة بين الدين و السياسة. باعتبار أن

المشكلة في تونس للحقيقة لا تتمثل في أن الدين يوظف الدوله وإنما الدولة هي التي توظف الدين. و لذلك جعلت من المساجد كلها أبواقا للدعايات. المشروع الإسلامي يريد أن يحرر المساجد من سلطة الدولة. حتى تكون المساجد جزءا من مؤسسات المجتمع المدني، و لذلك ليست المشكلة هي نفسها التي عاشها الغرب. بل الغرب هو الذي عاش مشكلة كيف يحرر الدولة من سلطة الكنيسة. نحن ليس عندنا كنيسة، و مشكلتنا كيف نحرر الدين من هيمنة الدولة و توظيفها.

صحيح أن هذه الثورة لم يقدها حزب واحد، و لا زعيم واحد. و لكن من ورائها فكر. عندما يرفع شباب تونس من الشمال الى الجنوب الشعار نفسه، معنى ذلك أن لديه خلفية فكرية. و أحسب أن وثائق 18 تشرين الأول/أكتوبر، و السوابق، سوابق التلاقي و السوابق الإصلاحية في محاولة الجمع بين القيم الإسلامية و أفكار الحداثة، كلها مثلت خلفية لهذه الثورة. و هو الذي سمح، عندما التقينا مع حلفائنا. في " المؤتمر من أجل الجمهورية" و "التكتل"، بأن لا نضيع وقتا في البحث عن خلفية فكرية. لأن وثائق 18 تشرين

ول/اكتوبر،كانت خلفية مشتركة، و كان البحث هو في من يأخذ هذا الموقع و من يأخذ ذاك، أي كيف نرتبه، و لكن لم يكن هناك نقاش حول القيم و الأفكار و نموذج الدولة الذي نريد، لأننا متفقون على ذلك، و اتفقنا من زمن.

و

حول الأسئلة عن الوحدة العربية، نحن، على الأقل في شمال افريقيا، لم نعرف أي مجافاة أو فصل بين فكرة العروبة و الإسلام، لأننا أسلمنا، ثم تعربنا، بحيث كل من يمس عروبتنا يمس إسلامنا في الحقيقة، و من يمس اسلامنا يمس عروبتنا. أنا عندما كنت طالبا في دمشق، انتبهت الى هذه القضية، انتبهت الى أن هنالك أحزابا قومية لا تقر بالإسلام كجزء رئيسي من الذاتية، من القومية، لذلك كانت صدمة بالنسبة الي، لم يكن متصورا لشاب في ذلك الوقت أن يكون عربيا، و ان يكون لديه مشكل مع الإسلام، و هذا موجود حتى في مصر . فهناك زعماء مصريون و مسيحيون كانوا يدافعون عن الاسلام و يعتبرون أنفسهم مسلمين بالحضارة.

مسلمين بالثقافة، ولم يكونوا مسلمين بالعقيدة، وهذا هو الوضع الطبيعي.

4

و حول فلسطين، أنا لا أعلم أن هناك حركة إسلامية في العالم عندها اختلاف في هذا الموضوع، فهو موضع اجماع بين كل الإسلاميين، بين الذي يسمى ب" المتشدد" و ب"المعتدل". ان فلسطين هي القضية المركزية للأمة، و هي قضية احتلال أرض. و بالتالي هناك مشروعية كاملة لاستعادة هذه الأرض، ليس مشروعية فحسب، بل واجب، و كم من مؤتمر كان الشعار المرفوع "لن نعترف بالاحتلال" ، "لن نعترف بهذا الكيان" . فلماذا الآن يقع القاء علامات استفهام حول قضية محل اجماع كل الإسلاميين و كل القوميين، و كما قال د. خير الدين حسيب، هذا محور أساسي من محاور اللقاء بين التيار الإسلامي و التيار القومي، و هو محل اجماع من كل الإسلاميين.

هناك خطر. و هناك صعوبات حقيقية. و هناك تحديات. تجاربنا في الحكم الديمقراطي. و الحكم الشوري. بيننا و بينها مسافات. فلا أحد منا يستطيع أن يتحدى الآخر. و لا نقول بزايد. أي أنه يملك تجربة ديمقراطية للتصدير. كما ليس لدينا. و لذلك نحن نرتاد أرضا جديدة. نحاول أن نوفق بين قيمنا و تراثنا، و بين قيم الحداثة. و لذلك أتصور أننا ينبغي علينا جميعا . أن نتواضع . فلا أحد منا يملك الحقيقة في هذا. و لا التجربة. جانب من إخواننا خرجوا لتوهم من المعسكر الاشتراكي و الماركسي. فماذا كان عندهم من تجارب الديمقراطية حتى يزايدوا بها على الإسلامين؟! و الإسلاميون ماذا يملكون من التجارب ليزايدوا على غيرهم؟ نحن جميعا في السنة الأولى لتعلم الديمقراطية. نحن جميعا مبتدؤون. ينبغي أن نتعاون. ولا يزايد بعضنا على بعض.

ذكر د. حيدر أنني أيدت التجربة السودانية. نعم. أيدت التجربة السودانية. و كان ذلك مبلغي من العلم في ذلك الوقت. حملت جوازا سودانيا. لأن من يختم الجوازات التونسية رفض من أن يمكنني من حقي كتونسي. لذلك بحثت عن أي جواز. و أتشرف أنني

حملت الجواز السوداني مدة شهر أو شهرين. و من ثم أبدلته بجواز لجوء بريطاني. و لا أدري أية تهمة تفضل أنت أم تريدني أن أبقى من دون جواز حتى يسلمني البوليس الدولي(الانتربول) الى بن علي؟ !

إذا. أنا أعتبر انه من الخطأ الوصول الى السلطة عن طريق الحكم العسكري.

هذا خطأ. و ان الطريق الوحيد المشروع للوصول الى السلطة هو الشورى. و الشورى ترجمتها الوحيدة في عصرنا هي الديمقراطية و الانتخابات و التعددية التي لا يقصى منها أحد. هذه هي الترجمة الأمينة للشورى في عصرنا. و لا نرى ترجمة أخرى. لأن ربنا أمرنا بالشورى. لكنه لم يعطنا أدوات. فهذا الأمر يقع في مجال العقل. و علينا أن نستفيد من تجربة الشورى"و أمرهم شورى بينهم"3. لا ينبغي أن ينفرد باتخاذها فرد أو مجموعة. و انما هي أمرهم جميعا . والأمر. في معناه القرآني. هو السياسة.

S

---

٣ القرآن الكريم،"سورة الشورى الآية 38

هناك أخطار، إذا. لأن تجربتنا في الديمقراطية حديثة. و ينبغي أن نتواضع فنتعلم من أخطائنا. و الخطر الكبير اليوم هو كيف نوفق بين الحرية و النظام؟ النظام كان محفوظا بصوت السلطان، و الآن صوت السلطان قد سقط، و أصبح الناس أحرارا، و يمكن أن نحقق التنمية التي تقتضي نظاما. كيف نؤسس للحرية؟ كيف ننظم أنفسنا بالحرية، و ليس بصوت السلطان. و هذا تحد كبير و تحد كبير أيضا كيف نقبل نتائج الديمقراطية؟ انا أزعم أن في بلادنا، كما في مصر أيضا و أمثالها، فئات لم تقبل بعد بآلية الديمقراطية. اذا الديمقراطية أتت- بنا و بأشباهنا-فهذا مقبول، أما اذا أتت بمن نكره فنلعن اباها و أمها. أنا أعتبر أن هناك بعض الفئات لم تقبل بعد، و لم تهضم نفسيا. حقيقة أن الإسلاميين جزء من هذه البلاد، و من حقهم أن يحكموا اذا أخذوا تفويضا معترفا به. الإسلاميون في تونس كان يمكنهم أن يحكموا بمفردهم، لكنهم و من قبل أن تظهر نتائج الانتخابات راهنو على شراكة رفاقهم، تقديرا لأن التحديات التي تواجه البلاد لا يمكن أن ينهض بها حزب واحد مهما كان قويا، فضلا عن انتقال السلطة من حزب

واحد الى حزب آخر، ستبدو معه الصورة في غاية البشاعة. و لذلك ،حتى تكون في البلاد ثورة، لا بد من أن يشعر الناس بأننا فعلا حسمنا مع نظام الحزب الواحد، سواء كان علمانيا أم إسلاميا. و أحسب، اليوم، أن هذه الثلاثية التي تجتمع في السلطة هي جزء من بهاء و جمال الثورة التونسية، التي جمعت بين الإسلاميين المعتدلين و العلمانيين المعتدلين. هذه هي المعادلة اليوم. الثورة التونسية بينت أن التيارين الذين تقاتلا لأكثر من خمسين عاما يمكن أن يجتمعا، و أن يلتقيا، و أن يؤسسا دولة و حكومة. هذا رهان كبير، و لذلك، فانه في إدارة التعددية مشكلة. الساسة لا يضعها رئيس الجمهورية وحده، و لا رئيس الحكومة وحده، و انما باجتماعهما.كلما تعددت عناصر المعادلة، كان حلها أصعب.و لكن هذا هو قدرنا، قدرنا أننا مجتمعات متعددة ، فلا مناص لنا من أن نتعلم فن التعايش، أن يقبل بعضنا بعضا، و أن نقبل مبدأ التعدد. كي لا تغرق هذه السفينة التي هي مجتمعنا، كيف نستفيد، و كيف نبحر في هذه السفينة، من دون أن نخرقها و نغرقها؟ هذا هو التحدي.

أعتبر أن الأولوية، اليوم ، أولويتان:الأولوية الأولى هي كيف نوطن أنفسنا على الديمقراطية؟ كيف نعيد تثقيفنا على أساس التعايش و عدم الاقصاء؟ إدارة مجتمعاتنا كانت منظمة على أساس القوة، فالتنمية التي كانت عند بن علي، كلها كانت قائمة على أساس القوة. الآن سقط صوت السلطان، لكن كيف نستطيع أن ننظم أنفسنا على أساس الحرية؟ هذا هو التحدي منذ سقوط الخلافة الراشدة، و خلافاتنا ظلت تدار بالسيف، حتى ان فقهاءنا، مع مرور الزمن، شرعوا حكم التغلب! و كان ذلك كارثة. كيف اليوم، إذا، نستأنف تاريخا جديدا يقوم على أساس الحرية؟ هذا هو التحدي الأول.

التحدي الثاني، كما ذكر أكثر من متداخل، هو التحدي الاقتصادي، تحدي التشغيل، لأن لا كرامة من دون عمل، من دون شغل، و هذا تحد كبير. هل يمكن لليبراليين أن يغيروا الدستور؟

الدستور هو تعبير عن إرادة الشعب.. إرادة المجموع. ليس مجرد أغلبية. و انما أغلبية عالية. هؤلاء قادرون على تغيير الدستور. و هو عمل بشري في النهاية. لكن ينبغي أن يتخذ صفة الدوام بأقصى ما يكون. لذلك ينبغي أن يتضمن المبادئ العليا و الثابتة. و ليس التفاصيل.هل هناك توجه لإعادة النظر في الخيارات الاقتصادية؟ لا بد أن يحصل هذا. لأن الخيارات الاقتصادية السابقة قادت الى ثورة. فإذا نحن أعدنا الخيارات نفسها. معنى ذلك أننا بدأنا نؤسس لثورة أخرى. و لذلك لا بد من أن يكون معنى من معاني الثورة هو اسقاط النموذج السابق للتنمية. النمط السابق للتنمية الذي يقوم على تجميع رأس المال عند فئة. و بلغة القرآن أن يكون المال "دولة بين الأغنياء منكم"4. أي تجميع الأموال عند فئة. و تسليط القمع على بقية الناس. هذا النموذج ينبغي أن يسقط. و أحسب أنه لا يمكن لنا أن نصنع نموذجا يعطي لشعوبنا كفايتها في هذا الاطار الضيق. الوطني الضيق. لا يمكن أن ننشئ أسواقا فسيحة. و لا صناعات كبرى. فمحكوم علينا اذا أردنا أن

---

[4] المصدر نفسه، سورة الحشر " الاية7

نحقق أهداف ثورتنا. أن نتمرد على المألوف. و من المألوف أن نعتبر أن قدرنا، في أن نظل محبوسين في هذه الجزر الضيقة.

المغرب العربي تعطل، و من مهمة الثورة أن تنشط و تشغل فكرة المغرب العربي. وتنشط فكرة الوحدة العربية و السوق العربية. في خلال ال30 عاما الماضية. سمعنا باستمرار عن اجتماع دوري منظم فقط لمؤسسة واحدة من مؤسسات الوحدة العربية، و الجامعة العربية، و هي مؤسسة وزارة الداخلية التي كان يترأسها صاحبنا. لكن لم نسمع و لا مرة عن اجتماع لوزارات الدفاع العرب. لأنه ليس لدينا أخطار خارجية ! الأخطار كلها في الداخل ! أين وزراء الدفاع العرب؟ و أين وزراء الاقتصاد العرب. و وزراء التربية العرب؟ مطلوب أن نشغل آليات. آليات الوحدة الموجودة التي تحتاج الى قرارات جديدة. آليات المؤسسات العربية لا بد من تشغيلها، مؤسسة المغرب العربي لا بد أن نفتحها على هذا العالم الواسع:على إفريقيا، و على أسيا. الثورة التونسية استبقت الباب على أوروبا مفتوحا. لكن الأبواب الأخرى المغلقة التي غلقت خلال العهدين السابقين. بوابة العرب. و بوابة الأفارقة. و البوابة

الاسيوية. هذه الأبواب ستفتح الآن على مصاريعها. لأن تونس لها أبعاد متعددة. فلماذا نشغل بعدا واحدا؟

هل هناك خطر للانقلاب على الديمقراطية؟ هل هناك خطر العودة الى الدكتاتورية؟ أنا لا أظن. فالذي يحمي الديمقراطية ليس اعلان زيد أو عمرو أو الحزب الفلاني. الذي يحمي الديمقراطية هو وعي الشعوب. هذه الشعوب ثارت على الدكتاتورية. لذلك الخطر علينا. اليوم. ليس عودة الدكتاتورية. إنما الخطرعلينا هو الصوملة. هو أن لا نحسن تنظيم أنفسنا بالحرية. لأننا تعودنا على أن ننظم أنفسنا بصوت السلطان و القمع. و الآن سقط القمع. يمكن أن" تتصومل" بلداننا. و هذا خطر حقيقي.لذلك كيف نتجنب الصوملة.الآن هناك محاولات لقطع الطرقات. و حرق المصانع. و الاعتصامات الفوضوية. و هي محاولات للصوملة! ينبغي التمييز بين حرية التعبير و التظاهر و الاحتجاج. و بين الفوضى و تدمير الاقتصاد و صوملة البلد. و أحسب أن هذا ليس واردا أيضا. لأن المجتمع التونسي عريق في دولته. و فكرة الدولة

عريقة في تونس. و لذلك نحن في مرحلة تدرب على الديمقراطية. و التدرب على الحرية

7

نحن نجدد الترحيب بهذه الكوكبة.. بهذه الصفوة من إخواننا و أصدقائنا العرب القادمين من كل مكان. نحن نعبر عن ابتهاجنا. و نؤكد لكم بأن تونس الثورة، هي مفتوحة و ستظل مفتوحة ان شاء الله أبدا لكل أحرار العرب، بمختلف اتجاهاتهم. و أنه لا معنى للثورة بدون أن نفتح طريقا جديدا لأمتنا.

كان هنالك تبشير فيما يتعلق التغيير. ان هذه الأرض لا يمكن أن تتغير من داخلها و لكن حتى الآن لم تثبت التجربة أن أنظمة كثيرة تغيرت. و لكن جاءت الثورات لتكون الرد على فشل محاولات الإصلاح. كان هو القاعدة. القاعدة قالت أنه مادامت تجارب الإصلاح من داخلها قد فشل، فالعلاج هو العمل المسلح. و الذي يقود العمل المسلح لتغيير الأنظمة. ليس الا لسقوط عدد من الدول تحت الاحتلال. سقطت أفغانستان و سقط العراق. و

سقط الصومال. ولم تثبت التجربة أن عملا مسلحا شعبيا واحدا صنع تغييرا حقيقيا. ولذلك ذكرت يوما أن بن لادن في الحقيقة توفي في تونس و ليس في باكستان، لأن الطريق الثالث هو طريق التغيير.التغيير السلمي عبر حركة الشعوب. هو الذي في سنة واحدة استطاع أن يطيح باكثر من دكتاتور. و أن يبعث روحا جديدة في الأمة و في العالم كله اليوم. ما يدل أن في الشعوب قوة الهية تحركت بشكل جماعي و في الطريق الصحيح. كما تحركت باتجاه القيم الصحيحة. هذه الشعوب اذا أرادت تفعل بإذن الله. وكأن الشعب اليوم يحيا من جديد و ينبعث في كل مكان و ينتشر شعاره: " اذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر". على كل حال هذه الموجة و هذه الروح العربية الجديدة.. هذه الروح الإسلامية الجديدة.. هذه الروح الجديدة لن تكون محبوسة على جدار أي دولة في العالم.. أي قطر من أقطارنا. فالمنطقة دخلت مرحلة التغيير. أما حكام أذكياء يقول الواحد منهم" بيدي لا بيد عمرو". فليقدم على جراحات عميقة وواسعة في النظام حتى تعاد السلطة الى الشعب. و إلا فالبديل عن ذلك هو الثورة.

.

نحن نتمنى لشعوبنا.. و لشعبنا العربي و للشعوب كلها الخير، و نحن متفاؤلون بأننا دخلنا مرحلة جديدة.

على كل حال، ما أود قوله: ان أمام الجميع في تونس فرصة، و نحن أمام تجربة تستعيد الاجماع في هذا البلد. و التيار الإسلامي في تونس له سوابق في العمل مع التيارات الوطنية الأخرى، و برهن على أن الثورة يمكن أن تتسع صدورها لكل أبناء الوطن. لذا أقول للجميع: لا توفروا أية فرصة أو أي جهد يدعم هذا المشروع، لأنه يمثل سابقة مهمة في الوطن العربي. فالتيارات العلمانية تقاتلت خلال أكثر من 50 سنة، و لم تأت للأمة بخير من خلال تقاتلها. الآن لدينا الفرصة لكي نعمل معا، و أن نعمل على إنجاح هذا النموذج الذي نجاحه يمثل تشجيعا للعمل المشترك، لاستعادة الوحدة في الأمة بين تياراتها. فشل هذه التجربة سيكون انتقاصا من كل الطموحات، و خصما منها. نحن متفائلون أننا عل الطريق الصحيح، و أننا سننجح بإذن الله.

# كلمة افتتاح الدكتور راشد الغنوشي في ندوة "في اصلاح المجال الديني"

# كلمة افتتاح الدكتور راشد الغنوشي في ندوة "في اصلاح المجال الديني"[5]

بسم الله الرحمان الرحيم

الصلاة و السلام على رسوله الكريم. أيها السادة و السيدات. أيها العلماء و المفكرون. السلام عليكم و رحمة الله و بركاته. و إني لسعيد أن أجد نفسي بينكم في رحاب هذه الندوة بين صفوة من نخبة الوطن العربي. التي تتناول شأنا مهما من شؤون الأمة و الإنسانية. الشأن الديني.

أرحب بكم في تونس. و أتمنى أن تسهم هذه الندوة إسهاما كبيرا في آلية العلاقة بين قضايا مهمة في ثقافتنا الإسلامية و هي قضية الدين. قضية الدين في علاقته بالحياة. في علاقته بالعلم. في علاقته بالسياسة. لأن الدين هو طاقة كبيرة. طاقة هائلة. و كل

---

[5] الحمامات - تونس في 29/28 نوفمبر 2016

طاقة هائلة يمكن أن تحرق و تدمر. و يمكن أن تنير و تبني. بحسب التأويل و بحسب الاستعمال لهذه الطاقة الهائلة. لم يتمكن حتى الآن تطور العلم و تطور الحضارة من إنتاج حضارة بعهدة من الدين. متحررة نهائيا من الدين. فعبر تاريخ الحضارات كان العمل الديني عملا مهما في أشكال مختلفة. و ربما تشهد سنوات الخمسين الأخيرة على الأقل إن لم يكن السنوات المائة الأخيرة. صحوة إسلامية ليس في العالم الإسلامي فحسب. بل في العالم كله. بما يدل على أصالة البعد الديني في هوية الإنسان و في شخصية الإنسان. و نحن هنا في تونس على الصعيد الإعلامي مثلا تحتل إذاعة تسمى "إذاعة القرآن الكريم". الصف الأول بالقياس على بقية الإذاعات الأخرى. بالرغم أن المجتمع التونسي يعد مجتمعا حديثا... مجتمعا في نخبة متأثرة بكثير من الأفكار الحديثة. بما في ذالك الأفكار السلبية إزاء الدين. و مع ذلك لا يزال الدين في المنطقة العربية و خارج المنطقة العربية يحتل مكانة كبيرة. بما يفرض المزيد من الاهتمام للمفكرين بهذه القوة و هذه الطاقة حتى توجه

التوجيه الحسن كون كل الحضارات، و لا سيما الحضارة الإسلامية، كان الدين منطلقها الأساسي.

كان الدين هو العامل الوسيط الحضاري الذي جمع و أعطى القيم التي قامت بمهمة ضبط الاندفاعات و الغرائز و بتوحيد المنطقة و بإعطائها أهدافا كبيرة. الدين إذا، كان مدخلا على شعوبنا العربية. و مدخلا أساسيا على الحضارة، و حتى عندما ترهلت حضارتنا الإسلامية انبعث الوعي بهذا الترهل، كان الدين عامل إصلاح. وكان المفكرون و المصلحون في القرن التاسع عشر، نظروا الى الدين بوصفه العامل الذي إذا أصلح . و إذا تم تأويله و أعيد تأويله التأويل الحسن، يمكن أن يكون عاملا، كون التهمة لم توجه إلى الدين في ذاته، إنما وجهت إلى التأويل، و إن الخطأ في التأويل السيئ للإسلام حتى تحول إلى عامل انحطاط و عامل خمول و ترهل و تفرق و تقاتل و طائفية. بينما قام في البداية بأدوار مختلفة، دور توحيدي و دور تصعيدي و دور تحرري.

نحن اليوم، أمتنا العربية-الإسلامية تنشئ صحوات دينية بأشكال مختلف. بعضها ننظر إليه على أنه الجاني، و بعضها هو عامل إزهاق للدماء و عامل طائفي و تفريق و تحارب أهلي. في الحديث نبوي معروف، أن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر الدين. أي أن الدين يحتاج إلى تجديد. بمعنى إعادة تأويل ، حتى يتفاعل باستمرار تفاعلا ايجابيا مع ما يستجد في الحياة من مشكلات و ما يستجد من علوم و معارف . فالدين بهذا المعنى لم تثبت التجربة أنه يمكن استغناء حضارة عنه، و لكن يمكن أن تستنير به، و يمكن أن تستعر به و تحترق به المجتمعات و الحضارات. الدين يمكن أن يكون مدخلا للديمقراطية كما يمكن أن يكون مبررا للإرهاب و ذالك بحسب التأويل.

نحن هنا في تونس عملنا منذ 50 سنة على تاكيد التوافق بين الدين و العقل و هي فكرة أساسية كما تعلمون في الثقافة الإسلامية أكدها المفكر العظيم ابن رشد، و المدرسة العقلانية عموما، في أن الدين و العقل لا يمكن أن يتناقضا. في رسالة ابن رشد المشهورة، فصل المقال و تقرير ما بين الحكمة و الشريعة من اتصال، و

الحكمة في الفلسفة. و هي عنده المذهب العقلاني. كون الدين و العقل كلاهما منتوج إلهي. فلا يمكن أن يتناقضا . لأنهما صادران من المصدر نفسه. هذه الفكرة الأساسية في الثقافة الإسلامية. خلاصتها أن الدين و المصلحة، الدين العقل، الدين و العلم، الدين و المساواة بين البشر، لا يمكن أن يتناقضا. فإذا ظهر تناقض فهو تناقض موهوم ينبغي أن يدرأ بالتأويل الحسن لدرء هذا التناقض المفتعل إلى التناقض الظاهري.

القرآن الكريم هو نفسه تبدو فيه ظواهر متناقضة. لكن ابن رشد، يرى أن هذه الظواهر المتناقضة ليست حقيقية و إنما هي لدفع أصحاب العقول إلى درء هذا التناقض. بحيث إنها عملية تمرين عقلي حتى يدفع العقل و هو يؤمن بالوحدة و بفكرة التوحيد. أن يندفع العقل إلى درء هذا التناقض وصولا إلى فكرة الوحدة. فالوحدة نصل إليها عبر التأويل عبر درء التناقض. مع الاعتراف بوجود هذا الاختلاف و بوجود هذا التناقض . و بالتالي نشدد باستمرار على الفكرة الرئيسية أن الدين و الديمقراطية لا يمكن أن يتناقضا. سلطة الشعب و سلطة الله لا يمكن أن يتناقضا. و إذا

ظهر تناقض. فهو تناقض موهوم لصالح الحقيقة لصالح الوحدة لصالح المساواة بين البشر، كون العقل و الدين لا يمكن أن يتناقضا.

هناك أيضا ظاهرة التمايز بين المجالات . التمايز بين المجال الديني و بين المجال السياسي . في مؤتمرنا الأخير دعونا إلى نوع من التمايز بين المجال الديني و بين المجال السياسي. كون كلا منهما يعمل في نطاق وظيفته الخاصة من دون أن يتناقض مع المجال الاخر. و بالتالي المسألة هنا ليست مسألة تصادم و تناقض. بقدر ما هي مجال اختصاص. فالسياسة تختص بتقديم الخدمات إلى الناس. و بإصلاح أحوال الناس بينما الدين يختص بإصلاح أخلاقهم و إصلاح قلوبهم و عقولهم و قيمهم. و بالتالي فان المجالين يعملان في تكامل. كل في مجاله من دون تناقض. و مهمة المفكرين و العلماء و الساسة هو ليس ضرب هذا المجال بذك . إنما تحقيق التكامل في المجتمع .

تقديرنا أن الوطن العربي اليوم يحتاج إلى رؤية فكرية. إلى تأويل يعترف بكل هذه المجالات. يعترف بالتخصص و يدرأ التناقض. و يدرأ هذا التحارب الذي يمزق أمتنا اليوم بين تيارات دينية و تيارات مناقضة لها. و هذا الأمر غريب عن التصور الإسلامي الأساسي و الأصيل القائم على فكرة التوحيد و على فكرة أن الاختلاف ينبغي الاعتراف به. الاعتراف بالخلاف الديني ( لا اكراه في الدين) . الاعتراف بالتعدد العرقي و التعدد الديني و التعدد السياسي . كل ذلك في اطار وحدة شاملة يحققها مبدأ التأويل.

شكرا لكم و معذرة على هذه الإطالة. قصدت فقط التحية لهذا الجمع الكريم و مصافحة و ترحيب بكم. مرحبا بكم و أهلا بكم .و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته.

# استلهام التغيير في زمن الغموض

# استلهام التغيير في زمن الغموض[6]

## كيف يبدو المشهد العام لعالمنا؟

## هل في آخر النفق خيط من النور؟

من يقف على مجموعة من الظواهر الطافية على سطح المشهد لا يمكن أن يحتفظ بابتسامته و تفاؤله وهو يرى عشرات الملايين يقتلعون من أرضهم ليحل محلهم آخرون أغراب. كما هو حاصل في سوريا و العراق و مينيمار.. و قبل ذلك في فلسطين و البوسنة و كثيرا ما يظل أولئك المقتلعون من أرضهم عالقين على الحدود، و يكون حظهم سعيدا اذا ظفروا بخيمة تجود بها الأمم المتحدة.

يهربون من أرض أبائهم و أجدادهم بسبب اضطهاد سياسي أو عرقي أو طائفي أو مدفوعين بالجوع حالمين بالرزق و السعادة وراء

---

[6] هذا نص المداخلة التي ألقاها الأستاذ راشد الغنوشي رئيس حركة النهضة في المنتدى الدولي لقناة TRT التركية. المنعقد باستانبول في أكتوبر 2017

الحدود مغامرين بحياتهم غير مبالين بأهوال البحر، و الاحتمال القوي بأن يتحولوا طعاما لأسماكه.

الى ذلك تزداد الفوارق بين الأغنياء الذين يشكلون أقل من 20% من سكان العالم يستهلكون 80% من ثرواته تاركين مئات الملايين للجوع و المرض.

و أشد هولا من ذلك، تصاعد أصوات قرقعة السلاح النووي بما أفسح مجالا واسعا للحديث عن نهاية العالم.

و مقابل تصاعد الصحوات الدينية تصاعدت موجات التعصب و الإرهاب و الاسلاموفوبيا ما عمق الكراهية و نشر الخوف و الرعب.

و لم تسلم البلاد الديمقراطية العريقة نفسها من تصاعد موجات الشوفينية العرقية و كره الأجانب حتى بلغ حد الإرهاب كما يحصل في الولايات المتحدة عودا الى عصر ما قبل حقوق الانسان.

وحتى ما حققه التطور السياسي من الأنظمة الإمبراطورية القائمة على أساس ديني الى نظام الدولة القطرية nation state بدت عدة

مؤشرات على ما أصابه من وهن بتصاعد مطالب الأقليات العرقية و الدينية بالاستقلال و استعدادها حتى للذهاب الى السلاح اذا لم يستجب لنتائج استفتاءاتها بما يجعل المشهد الذي تشكل خلال النصف الأول من القرن الماضي منذ انهيار العثمانيين و قيام نظام سايس بيكو في حالة اضطراب شديد بل احتضار.

في هذا المشهد القاتم و البائس جاء مشهد الشاب التونسي البوعزيزي و كأنه لا يضرم النار في جسده و حسب و انما يضرم النار في الهشيم العربي بجملته معلنا عن بداية النهاية لعصر و بداية ميلاد عصر جديد تلتحق به هذه المنطقة من العالم بركب التاريخ . بدخولها في عالم الحرية و الديمقراطية اذ لا تاريخ خارج الحرية.

بعد ست سنوات كيف يبدو المشهد التونسي و المشهد العربي؟

1/ يبدو المشهد بائسا بل أشد بؤسا عما كان عليه 2010 حتى تبدو العودة في مصر مثلا الى عصر مبارك حلما بعيد المنال. لقد تعالت أصوات الردة تجلد ظهور الثائرين حتى تندم الشعوب أنها قامت بثورة. فتحن الى عودة جلاديها استرجاعا للأمن ! و ذلك بعد ان

انقلبت الثورات إرهابا بتعمد اختراقها و الإساءة اليها، و نجح الطغاة في توظيف جماعات التطرف لضرب الثورات. هناك ردة طوقت الثورات و نجحت في تحويلها إرهابا لأسباب كثيرة منها فشل نخب الثورة في صناعة توافقات بينهم و استدراجها الى ساحة العنف.

2/ مقابل ذلك نجحت تونس في الإبقاء على شعلة الحرية متقدة لأسباب بعضها عائد الى أن الضغط الخارجي على هذا الموقع أقل من الضغوط المسلطة على مواقع أخرى أكثر أهمية مثل مصر و سوريا. و منها ما عبرت عنه النخبة التونسية من قدرات على ادراة الحوار بينها بعيدا عن العنف و تنازل بعضها لبعض من أجل الوصول الى توافقات مهمة في الدستور و في غيره بما نمى نظرية في الديمقراطية التوافقية بديلا عن الديمقراطية المعتادة في الديمقراطيات الراسخة ديمقراطية الأغلبية حيث تحكم و الأقلية تعارض. استمرار النموذج التونسي و مغالبة شعلة الحرية لعواصف الردة دليل حي على أن الديمقراطية ممكنة في بلاد

العرب و في كل مكان مادامت ممكنة في تونس و المسألة مسألة وقت.

3/ لا يخالجني شك في أن العالم العربي دخل مرحلة جديدة مرحلة التحولات الديمقراطية. و المسألة فقط تتعلق بالمدة و التكلفة التي يقتضيها الانتقال الذي قد يستمر عشرات السنوات.

4/ الإسلام في حالة فوران و تمدد و يمكن بحسب نوع التعامل معه أن يقوم بدور سلبي مدمر أو دور إيجابي يحتاجه المسلمون و غير المسلمين لإعطاء المعنى و القيمة الإنسانية و كذا الديانات الأخرى. القيمة و المعنى للعلم الذي يتطور بلا ضوابط و قد يفضي الى دمار شامل للإنسانية. يعطي المعنى للاقتصاد الذي ينمو منفلتا من كل محتوى انساني بل يدمر البيئة تدميرا بدل توفير حاجة الشعوب. يعطي القيمة الإنسانية قيمة المساواة و العدالة لنظام الأمم المتحدة الذي يمثل تطورا إيجابيا اذ اعترف للإنسان من حيث هو انسان بكرامة و لكنه لم يمض على هذا الاعتراف الى كل نتائجه و منها استمرار تمكين دول بحظوظ و مكانة لا يتمتع بها كل أعضائه و

الصمت إزاء مظالم كبرى؟ مثل مظلمة الروهنقا و فلسطين و المظالم مصدر ثري للدفع نحو الإرهاب.

5/ ان الشباب بالذات يعيش في كثير من البلاد حالة احباط و منه شباب بلادنا فهو بعد أكثر من ست سنوات من الثورة لم ير تحولا حقيقيا إيجابيا في حياته اليومية اذ استمرت البطالة و استمر بؤس احياء و مناطق بكاملها. فانطفأت أحلامه بالعدالة التي بشرت بها الثورة. و لأن الحياة تأبى الفراغ فقد أخذت تجد أصداء في نفسه اغراءات الهروب الى عالم المخدرات أو الهجرة السرية الى أوروبا مغامرا بحياته املا في الثراء السريع أو الهجرة الى داعش جريا وراء سراب الخلافة أو عوالم الحور العين.

6/ وكل ذلك يقتضي أن يتحول المشروع الإسلامي. مشروعا تنمويا ينهض بحياة الناس و يوقد شعلة الحماس فينا بالإسلام بالجهد و النصب و العرق سيحقق هذا الجيل من الحياة و الكرامة ما حققه جيل الحركة الوطنية من انتزاع اوطاننا من براثن الاستعمار. أما الخلافة فهي في عصرنا لن تكون أكثر من العمل على انتاج عالم

إسلامي متقدم متعاون متضامن متحرر يرى فيه العالم صورة لمقاصد الإسلام في العدل و الحرية و الوحدة و التقدم العلمي و الانسانية و الرحمة. و ما فعله إخواننا الأتراك إزاء ثلاثة ملايين لاجئ سوري ووقوفهم المشرف إزاء إخوانهم الروهنغا والصوماليين و وقوفهم الى جانب الربيع العربي نموذج يشرف الإسلام و يضيء شمعة في الطريق اليه.

# ملحق

# ماذا يعني أن تكون نهضاويا؟

# ملحق

## ماذا يعني أن تكون نهضاويا؟[7]

الحمد لله الذي اصطفى محمدا عليه السلام خاتما لرسله و رحمة لمخلوقاته و اختار رمضان وعاءا لتنزيل آخر كلماته. و زادنا شرفا و تكريما أن هدانا لهذا النهج القويم، نهج تجديد الدين بوصله أبدا بالحياة و بهموم الناس المتقلبة. بحثا لها عن حلول مجدية. بما يجعل الإسلام أبدا قواما على حياتهم و مشكلاتهم، قائدا لمسيرتهم أنى اتجهت ركائبها. و هو ما دأبت حركتنا على فعله منذ زهاء نصف قرن، حيث ارتحلت بالإسلام من هوامش الحياة المعاصرة و غربته، الى قلب النشاط الثقافي في المدارس و الجامعات و سائر مؤسسات المجتمع . بما أعاد الحياة للمسجد، فاستأنف الشباب ذكورا و اناثا طريقهم مجددا الى المصاحف و بيوت الله. و انفتح الطريق

[7] الكلمة التي القاها الشيخ راشد في الإفطار الرمضاني للناشئة في رمضان 1438

لاحقا نحو الحديث عن قيم إسلامية في السياسة و الاقتصاد و الفن و الصراعات الدولية و الحضارية.

و لقد اتخذ هذا التجديد التونسي للإسلام من قيمة الحرية المدخل الرئيس لنهج تجديده باعتبار الاسلام ثورة تحررية شاملة ( فمن يكفر بالطاغوت و يؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) حتى ان أخر رسالة أنبياء الله انحصرت في (يحل عليهم الطيبات و يحرم عليهم الخبائث و يضع عنهم اصرهم و الأغلال التي كانت عليهم) اصار الشرك و الخرافة و الوهم و أنظمة الفساد و الاستبداد و الظلم.

و كان ما ليس منه بد، أن يصطدم هذا التيار بالقوى المهيمنة، فقدم آلاف الشباب زهرة أعمارهم في مقاومة مدنية. صمدت لعشرات السنين و ما استسلمت. بل رابطت في مختلف مواقع البلاء حتى أثخنت معسكر الطغيان، ملتحمة بمختلف قوى الثورة و المقاومة، الى أن أذن الله بانبلاج فجر الحرية بانتصار الثورة المباركة و انكسار الطغيان و قيام دولة الحرية. و عاد الأمر من حكم

عصابة الفساد الى حكم الشعب. و لم يخيب الشعب الوفي ظننا فاختار في مجمله نهج التجديد الإسلامي نهج النهضة

و يمكن أن نلخص أركان هذا النهج التجديدي الإسلامي الذي لم يدع يوما احتكاره للإسلام. فالإسلام بحر أوسع من أن يستوعبه وعاء مهما اتسع (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي) . يمكن اختصاره في ما يلي

أن تكون نهضاويا أي منتميا لهذا التيار يعني:

1. أن تكون مسلما صالحا وسطيا معتدلا (و كذلك جعلناكم أمة وسطا). فلا تشدد و لا غلو و لا تكفير. و نعتبر مذهب الامام مالك –المذهب السائد في تونس- مدخل الحركة الى الإسلام. و ان المفتى به في مذهب مالك رسالة الامام عبد الله ابن أبي زيد القيرواني و شروحها. و نعتبر في هذا الصدد لوائح المؤتمر العاشر أخر خلاصة للفكر الاجتماعي و السياسي و التنظيمي للتيار التجديدي "النهضوي"
2. أن تعمل لرفعة و خير وطنك تونس و عزة دولتها ، فلا عزة لدين بلا دولة

3. ان تبذل وسعك في تعزيز روح المواطنة بين أبناء شعب تونس ووحدة صفهم باعتبار المواطنين متساوين. و أن المواطنة أساس توزيع الحقوق. امتداد لدستور المدينة المنورة "الصحيفة"
4. أن تؤمن أن العدل أعظم قيم الإسلام و أنه مقصد رسالات الله. فتعمل على أن يسود و تقاوم الظلم و الظالمين منتصرا للضعفاء و المظلومين.
5. أن تؤمن بالتوافق بين الإسلام و جوهر القيم الحديثة: الحرية. العلم. الديمقراطية و حقوق الإنسان و المساواة وسلطة الشعب.
6. أن تؤمن بتكريم الإسلام للنساء و مساواتهن بالرجال و دورهن و حقوقهن في حفظ الحياة و رقيها.
7. أن تؤمن بالأخوة الإسلامية و الإنسانية انطلاقا من الوحدة الوطنية فالمغاربية فالعربية فالإسلامية والإنسانية و تعمل على تعزيز روابط التعاون و الوحدة في كل المستويات .

8. أن تؤمن أنه لا مناص للعمل للإسلام و نهضة الأمة من جهد جماعي منظم يعتمد الطرق السلمية تقوده مؤسسات شورية ديمقراطية.

9. ان تؤمن أن المشروع الإسلامي -لا يقتضي شمول كل نشاط إنساني- قيام أحزاب إسلامية شمولية. رد فعل على أحزاب شمولية علمانية. المطلوب في عصر الديمقراطية أحزاب متخصصة في السياسة أي تقديم الخدمة للشعب. أحزاب ديمقراطية مسلمة. بينما تتكفل –مستقلة- مؤسسات المجتمع المدني ببقية أبعاد المشروع.

10. أن تؤمن بان الإسلام رسالة للناس كافة فكل قيمة كونية و مؤسسة اممية تؤسس للسلم و لخير البشر و العدل بينهم. تجد مكانها المريح في الإسلام. و في زمننا هذا يتصدر دعم الكفاح من أجل تحرير فلسطين طليعة القيم الإنسانية التحررية.

ان جيلكم يا أبنائي الأحباب محظوظ بما وفره لكم كفاح الأجيال السابقة من حريات. صحيح أن أمامكم تحديات تنموية جساما و لكنكم تتوفرون على رأس مال كل تقدم:

الحرية. فاستمسكوا بها و ذودوا عنها، ذودوا عن الاستثناء التونسي   واصبروا فالركب ملتحق بكم غير بعيد ( و العاقبة للمتقين).


شباب
النادي الشبابي